الجزءان ٢٨ و ٢٩ المجلد الاول

النفائس العصرية

مجلة فكاهية ادبية

لمنشئها

خليل بيدس

تشرين الاول سنة ١٩٠٩

الناموس الادبي

٩

ومما لا يجب ان تفوتنا ملاحظته ان من الواجبات ما هو ادبي محض ومنها ماهو غير ذلك . و بيانه : ان العقل اذا امرني اِن اجري عملاً يبلغني الى نتيجة معروفة . او اذا ارشدني الى ان هذا العمل او ذاك يعينني عَلَى بلوغ النجاح او ادراك الامنية والوصول الى السعادة — فهذا الاجرآء لايعد واجباً ادبياً . واما الواجب الادبي

المحض فيضطرّني الى اجراء العمل الذي يأمرني به العقل بقطع النظر عن فائدته ولذته وضرورته لادراك غاية ما · ولايضاح ذلك لنفرض ان زيداً وجد في طريقه كيس نقود فقد من احد المارّين وللحال بحث عن صاحب الكيس وقدم له ماله — إما لانه شفق علَى الرجل اولانه علم بانه بحاجة الى هذه النقود اولسبب آخر · فهذا العمل حسن وممدوح ولكن الباعث عليه ليس ادبياً محضاً · لان الواجب الادبي يأمر زيداً بارجاع النقود الى صاحبها لانها لاتخصه وليس لان صاحبها محتاج اليها او ان زيداً شفق عليه · وقديكون صاحبها غير محتاج اليها بتة

وعليه فالمنفعة والعواطف ليست مصدراً للآداب لان من خصائصها التبدل والاختصاص والتغير والاختلاف فهي تتغيّر بتغير الاحوال وتتكيّف بتكيّف الشؤون ولا تعرف التعميم والشمول فما ينفع الواحد قد يضر الاخر

وكل انسان يقدر ان يعرف اذا كانت اعماله متفقة معِ الناموس الادبي ام لا · وطريقة ذلك هى ان يسأَل الانسان نفسه علَى الدوام: هل اريد ان تكون طريقة اعمالي هذه قانوناً للجميع ؟ اي هل اريد ان يتمثل الجميع بعملي ؟ وهب انني وعدت واحداً وعداً كاذباً فهل ارغب في ان يجري الجميع كما اجريت ؟ فبلا شك يجيبني الصوت الداخلي : كلا لانه لو صار الجميع يعدون بعضهم

وعوداً كاذبة لزال الصدق من بينهم ولكانت هذه الوعود ضرباً من الحماقة والاختلال . وكلٌّ يعرف ان الانسان اذا اراد الحكم علَى فعل ادبي بعدل مقرون بالتدقيق وجب عليه ان يتنزه عن كل ميل ويتجرد من كل عاطفة حتى يصدر حكمه مطابقاً للعدل والصواب . والحق يطلب ان لانستدلّ في حكمنا الادبي من انفسنا علَى غيرنا بل من غيرنا علَى انفسنا

١٠

ثم ان الواجب الادبي ينهانا عن النظر الى قريبنا كالى وسيلة لنيل غاياتنا ومآربنا . فلا يجوز مثلاً ان ننظر الى الفاعل او الخادم او الى احد اخر من ذوينا والخاضعين لنا كالى آلة فقط لاجل تتميم ما يُطلب منه من واجبات الخدمة بل ينبغي لنا ان نرى ايضاً فيهم مزيتهم الادبية ونفسهم العاقلة التي لايسوغ لنا ولا بوجه من الوجوه ان نستخدمها لاجل بعض مقاصد دالمية . قال كانْتْ : « لكل كائن عاقل غايات ومقاصد مختلفة ولكنه لايليق به ان يجعل نفسه واسطة لنيلها لانه هو مصدر كل غاية ومقصد . وبناءً علَى ذلك يترتب علَى كل انسان ان يقدّر وجدانه ويحرص علَى قيمته ولا يرضى ان ينظر اليه كالى واسطة لنيل غاية ما » . فمن هنا يتضح ان لجميع الكائنات العاقلة حقوقاً ادبية واحدة لا ربوبيّة بينها ولا عبودية وان لكل امرئٍ اعتباراً لطبيعته العاقلة ولحريته الادبية ولذاته وان حقوقه

الانسانية تقضي عليه بان يكون ذاتاً لا شيئاً · غير ان معرفة هذه الحقوق يجهلها الجم الغفير من الناس · والذين يرغبون في نشرها وتعميمها فئة قليلة مع انها حرية بالنظر والبحث لان اهتضام الحقوق والجهل بها من اشد الادواء وطأة واكثر الآفات شراً · ولقد تقدم معنا ان لكل انسان ارادة وهي التي تميزه عن غيره من الكائنات فاذا فقدت منه هذه الارادة انحطت منزلته الانسانية وسُلبت منه حقوقه · ومع هذا نرى الجم الغفير من الناس في كل امة وفي كل بلد مسلوبة ارادتهم مغلولة ايديهم لا يتحركون الا تتميماً لمشيئة ساداتهم المستبدين بهم والمضيقين عليهم كأنّ حياتهم لا روح فيها او كانهم خلقوا لاجل اولئك المتسلطين · وعلى هذه الصورة يرسخ فيهم الذل فتعمى بصائرهم وتفسد اخلاقهم وتُقتل اميالهم وتُغصب قلوبهم وتُسلب راحتهم وتمرض عقولهم وتمص دماء حياتهم ويكونون كالانعام المملوكة العنان او كالسلع تتناقلها الايدي كيف تشاء

ولا بأس ان نزيد هذا الوضع بياناً بفصل لطيف اقتطفناه من رواية « فابيولا » التي عرّبناها منذ بضع سنوات وحالت بعض الموانع دون طبعها · والفصل المذكور يبين حالة هذا المرض بما لا مزيد عليه من البيان والايضاح ويؤثر في النفوس اكثر مما تؤثره الارشادات والعظات · وهو :

... في احد الايام كانت فابيولا مضطجعة في سريرها قابضة

يسراها على مرآة فضيّة وبيمناها على خنجر قبضته من عظم الفيل وفي طرفها حلقة بحيث كانت تنيطه باصبعها وتستعمله في كثير من ساعات نهارها آلةً لانتقامها من بعض جواريها اللاتي كنّ يستوجبنَ غضبها ويثرنَ سخطها . ولا يستغربنّ القارىء مثل هذه المعاملات الشرسة فانّ النبيل الروماني في ذلك العصر كان لا يعتبر احداً من الناس انساناً الا نفسه ومن كان في درجته شرفاً ونبلاً . فكان يعتبر سائر الطبقات البشريّة في احقر درجات الانحطاط والهوان حاسباً الجميع برابرةً وعبيداً وحيوانات . . . ذلك لان الديانة لم تعلمه بان جميع الخلق متساوون وان الهاً واحداً خلقهم جميعهم ولم يميّز فيما بينهم بالطينة والرتبة . . . وهذه فابيولا مع غزارة علمها في الفلسفة كانت لا تفرق بين أمتها والحيوان الداجن . فكانت الأمة المسكينة اذا اذنبت ذنباً ما وكان طفيفاً اغمدت فيها سيدتها ذلك الخنجر دون اقل شفقة . غير ان فابيولا مع كل هذه المعاملة الفظة كانت تعتبر رقيقة الفؤاد وغير شريرة — بالنسبة الى غيرها من السيدات القاسيات الجافيات . . . كانت فابيولا مضطجعة في سريرها حسبما سبق القول وحولها ثلاث من الاماء واقفات لخدمتها ينتظرن اقلّ اشارة تبدو من مولاتهنّ ليسارعن الى تتميمها ابتغاء رضاها وانعطافها . وكانت الاولى منهن تسمى « اغرا » مختصر كلمة افريقية وطنها الذي اخذت منه . والثانية « غرايا » نسبةً الى بلاد اليونان .

واما الثالثة فكان يُقال لها «سيرا» مختصر كلمة سوريا لانها ابتيعت من هذه البلاد . وهي فتاة جميلة المنظر لينة العريكة دمثة الاخلاق طيبة القلب لا تكلّ مما يُلقى عليها من الاشغال ولا تبالي بشيء من العوارض بل كانت حازمة في عملها مثالاً للطاعة والادب والرصانة . وكان يظهر من ملامحها انها من بنات الكرام غير ان الظروف قضت عليها بان تكون أَمةً حقيرةً تتداولها الايدي وتتصرف بها اهواء مواليها كأَنها سلعةٌ من السلَع . وكانت هذه الامة تفضّل ان ترضي سيدتها بجليل اعمالها واخلاص خدمتها دون الاعتماد عَلَى التملّق والتزلُّف كما هو شان رفيقتيها اللتين كان شغلهما الشاغل امتداح السيدة فابيولا واطراء غناها وجمالها

بعد ان ساد الصمت قليلاً نظرت افرا الى سيدتها نظرة الانشغاف الشديد وقالت لها وهي تتبسَّم : آه يامولاتي العزيزة لو تعلمين مقدار السرور الذى يستحوذ عليَّ حينما يتفق لي مشاهدة محياك اللطيف الفتَّان وانت تخطرين بين القوم مسترقة الابصار آخذة بمجامع القلوب ..

فابتدرتها غرايا قائلة بنغمة التحيّل والمراوغة : اما انا فلا يستطيع احد ان يقدر سروري اذا اتيح لي ان اقف في الباب واسترق النظر اليك يا سيدتي وانت رافلة بثوبك الجديد الزاهي الذي استحضره لك والدك مؤخراً من اسيا خصوصاً بعد ان تعبت ليلتي

بطولها لتحسين تفصيله وتطبيقه علَى بدنك حتى يخيل لي ان جميع القوات السحرية لاتقدر ان تاتي بمثله

كانت فابيولا تسمع هذه التمليقات وهي مبتهجة محبورة ولما لم تسمع شيئاً من سيرا وجهت اليها كلامها قائلة : وانت ياسيرا مالي اراكِ صامتة لا تتفوّهين بشيء يستوجب محظوظيتي وانشراحي وتفتخرين انتِ به ؟ فاجابت سيرا بحشمة ووقار : اني يا مولاتي لا استطيع ان افتخر بقيامي بواجباتي لان ذلك فرض واجب عليَّ

هذه الكلمات البسيطة المحتشمة لم ترُق لتلك السيدة المتغطرسة التي تعودت سماع التمليقات والاطراء ولذلك اجابت سيرا بعبوسة :

اف ّ لك ما انشف كلامكِ فهلا تقدرين ان تنطقي بكلمة عذبة

— رحماكِ يا سيدتي . وماذا يُنتظر ممن كان مثلي امةً ضعيفة ان تقول لمولاة غنية مشهورة اعتادت ان تسمع من اشهر رجال رومية عبارات التمليق والمديح . اولستِ يا مولاتي تزدرين بامتداحنا اياك ونحن لك اماء حقيرات

فدهشت فابيولا لما سمعت هذا الكلام الصادر من امةٍ لا يحق لها — حسب رايها — ان تشعر وتفتكر وتحكم وتعترض . . . ولذلك أبدت لها استياءها بقولها : اني في غاية العجب من طباعك الشرسة . اولم تعلمي بعد بانك خاصتي واني ابتعتُكِ كي تخدميني وتفعلي ما اشاء ؟ فلي والحالة هذه مطلق الحرية على لسانكِ

كما لي ذلك على شغلك . فان اردتِ ان تمتدحيني وتتملقيني عليك ان تجري ذلك دون اعتراض احببتِ ذلك ام لم تحبي والاغرب انك تعتقدين بان لك حرية ارادة وانت امة حقيرة حياتك كلها في قبضة يدي لانها خاصتي

— لست انكر ذلك يا سيدتي فان حياتي تخصك كما تخصك قواي وجسدي واتعابي لانك ابتعتِ ذلك بمالٍ فطاعتك اذاً واجبة عليَّ من كل وجه . بيد ان عندي كنزاً لا يشترى بجميع اموال القياصرة ولا يستعبد

فقهقهت فابيولا وقالت باستغراب واستهزآء : وما هو هذا الكنز العظيم ايتها الحمقآء

— هو نفسي

— نفسكِ ? وما ذا تفهمين بهذه الكلمة ? فهل اصبحتِ سيدة حتى صرت تعتقدين بان لك ايضاً نفساً غير مائتة ?

ليس في وسعي ان اوضح لكِ ذلك كما يوضحه الفلاسفة والعلماء غير اني افهم بهذه الكلمة حاستي الداخلية — ارادتي ذمتي — اعتقادي بان لي حقاً في الحياة الفضلى — حياة النفس والارادة والحقيقة . وهذه حاستي الداخلية تنكّب بي عن الطرق السافلة المحتقرة وتحملني عَلَى بغض الكذب والتملق وكل رياء

وكانت الامتان الاخريان في اثناء هذا الحديث واقفتين صامتتين

كانهما في وادٍ وسيرا ومعتقداتها في وادٍ آخر لانهما لم تفهما من كلامها شيئاً البتة . اما فابيولا فلم تكن تتوقع مثل هذا الكلام فازدادت استغراباً واستشاطت غضباً وصاحت بسيرا : الا تخبريني اين تعلمتِ كل هذه الحماقة ومن انارك بمثل هذه الفلسفة الشنيعة ؟

— تعلمت ذلك يا مولاتي في مدرسة وطني حيث لا يميزون بين اليوناني والبربري ولا بين الرجل الحر والعبد بل يعتبرون الجميع عَلَى السواء لانهم من طينة واحدة وان وجد ثمَّ فرق ففي الماديات فقط

وكان لهذا الكلام وقع انكى من الحسام في قلب فابيولا غير انها صبّرت نفسها وقالت لسيرا بجفاءٍ هذا شيء جديد لم يُسمع ان امةً تحسب نفسها حرةً ومساويةً لسيدتها . وربما تعتقدين بانك ارفع منزلة مني . فتكلمي الان بصريح العبارة دون اقل تمويه وانبئيني بمعتقدك : هل انتِ مساوية لي ام كيف ؟ قالت فابيولا هذا واستوت في سريرها شاخصة الى سيرا وقد بدت عَلَى محياها امائر الغم والسخط

اما سيرا فاجابت بسكينة : انتِ اعَلَى مني حسباً ونسباً وغنىً وعلماً وجمالاً وعقلاً ولكن اذا اكرهت ان اصرح بما يخالج قلبي . . .

قالت سيرا هذا ووجمت مرتبكة حائرة غير ان فابيولا قطبت

جبينها وامرتها بتتمة الحديث دون تردد . فاستأنفت سيرا حديثها بقولها : احكمي انت بنفسك ايتها المولاة الكريمة : اي الاثنتين افضل ؟ السيدة الرودانية الغنية التي تعتقد صريحاً بان حياتها ستنقضي كما تنقضي حياة كل حيوان وتعتبر من كان دونها حسباً وغنى عبيداً واماءً لا نفس لهم ولا ارادة . اما الامة الفقيرة المعتقدة بحياة النفس وخلودها وبمساواة جميع الناس على اختلاف الطبقات وبإيثارها لذة الحقيقة على جميع الملذات الاخر والمرتفعة عن كل ما يشين الذمة ويعافه ناموس الآداب والحق ؟

اما فابيولا فكأن صاعقة انقضت على رأسها عند سماعها هذا الكلام ولم يعد في امكانها امساك غضبها لانها حسبت نفسها انها أُهينت لاول مرة في حياتها اهانة كبرى . وممن ؟ — من امتها . ولذلك ما ابطأت ان تناولت خنجرها وطعنت به سيرا فاصاب يدها وجرحها جرحاً بالغاً بحيث انفجر منه الدم انفجاراً . فصاحت المسكينة متأوهة وتساقطت من عينيها العبرات السخينة ممتزجة بدمها المتدفق . . . فلما شاهدت فابيولا ذلك — وكانت قد سكن غضبها — خجلت من نفسها وتألمت لسيرا كما يتألم المرء منا اذا رأى كلباً يئن وجعاً من ضربةٍ اصابته . . . وما عتمت ان التفتت اليها وقالت لها بلطف : اذهبي الى مرضعتي واسأليها ان تربط لك يدكِ . وصدقيني باني ما اردتُ ان تنتج لكِ ضربتي جرحاً بالغاً

بهذا المقدار ولكن رويدكِ فاني اريد ان انفحكِ بهدية تلطف شيئاً من مرارة آلامكِ ... قالت هذا وتناولت عن مائدة امامها خاتماً مرصعاً دفعته لسيرا قائلة : خذيه ولا تشتغلي في هذا النهار .. وكأني بذمة فابيولا قد سكنت لتصوّرها بان الهدايا من شأنها ان تمحو الذنوب وتزيل البلايا ...

في اثناء هذه الحادثة التي جرت في مخدع فابيولا دخلت الى هناك ضيفة حديثة السن . ولكنها ما لبثت ان توقفت في الباب وراء الستائر المسدولة عليه دون ان يشاهدها احد . وسبب ذلك هو انها في حال دخولها رأت فابيولا قد طعنت امتها بالخنجر وسمعتها تخاطبها بالحديث المار ذكره فجمدت في مكانها مكفهرّةً مضطربةً . ولما كانت سيرا منصرفةً عن لدن مولاتها صادفت هذه الضيفة فبهتت ولكنها ما ابطأَت ان سكن روعها لتحققها بان الواقفة هنا هي اغنس المشهورة بوداعتها وحسن سيرتها

كان لهذه الفتاة من العمر اربع عشرة سنة وهي ابنة وحيدة لوالدين من مشاهير اغنياء رومية وهي صديقة حميمة لفابيولا فضلاً عن القرابة التي تجمعهما . فلما رأَت سيرا بتلك الحالة المؤلمة انفطر لها قلبها حزناً وتأسفاً وهمست في اذنها وهي مارّة بجانبها عند الباب ان انتظريني خارجاً . ثم دخلت الى المخدع ظاهرة عليها لوائح الكمد . فلما شاهدتها فابيولا وثبت اليها تعانقها بلهفة لا مزيد عليها وخاطبتها

بما يأتي: الف شكر لكِ ايتها الصديقة الحبيبة لانك زرتني وانا في اشد الحاجة اليكِ الان فان ابي دعا اليوم لمناولة طعام العشاء بعضاً من اكابر الاغنياء ورغب الي في ان استقبلهم واحتفي بهم فيسرّني كثيراً ان تكوني برفقتي هذه الليلة. ولكني اراكِ مرتدية ثوباً ابيض بسيطاً عاطلاً من كل حلية فما هي هذه العادة الجديدة التي اتخذتها ديدناً لك وراموزاً؟ لكن يا حبيبتي ما هذا؟... ما هذا الذي عَلَى ثوبكِ؟ آه هي لطخة من الدم... فبادري حالاً الى غرفة ثيابي وانزعي عنكِ هذا الثوب واستبدليه بآخر من الثياب البيض اذا كنتِ تؤثرين هذا اللون

فاجابت اغنس: هذا أمرٌ مستحيل فلا استبدله بثوبٍ اخر. نعم ان ذلك لطخة من الدم... من دم امتكِ المسكينة... ولكنه في عينيّ اشرف من دمائي ودمي

ففهمت آنئذٍ فابيولا ان اغنس كانت من جملة شهود عملها الفظيع وان سيرا في حال مرورها بجانبها لوّثت ثوبها. بيدَ انها اذ لم تشأ ان يظهر عليها القلق قالت بحدة يخالطها شيء من الكآبة: لعلكِ ايتها العزيزة مزمعة ان تعلني للملا فوران طبعي وتوضحي للجميع بان معاقبتي لامتي السفيهة كانت قاسية

— كلا بل اريد ان احفظ هذه اللطخة كتذكار استفدتها اليوم من هذه الامة المسكينة فانها ابانت لي كيف يتحتم على المرء ان

يحتمل الآمه الجسدية والادبية بصبر

— عجباً من هذه الافكار الغريبة ! فانكِ والحق يقال تجلّين كثيراً هذه المخلوقات فاخبريني بحقكِ من هم

— هم اناس مثلكِ ومثلي وُهبوا عقلاً واحساسات كما وهبنا نحن . وما شرف الانسان يا فابيولا بماله وحسبه بل بادبه وصدقه، وصفاء نفسه وطيب سريرته . وعندي ان سيرا هي أشرف من الكثيرين من اغنياء رومية المتصفين بكل نوع من البذاءة والفجور والمعايب والنقائص ... فما هي اذاً الا عضو لتلك العائلة التي نحن عضوان آخران لها . وان الاله الذي وهبنا الحياة وهبها اياها ايضاً واذا كان هو ابانا فلا يكون العبيد والاباء الا اخوة لنا واخوات

فصاحت فابيولا باضطراب واستغراب : حسبك من هذا الكلام يا عزيزتي او يكون ايضاً العبد اخي والامة اختي ؟ .. ان هذا غير ممكن ولا يتصوَّر في الاحلام .. لان هذه المخلوقات هي خاصتنا فلنا عليها ملء الحرية ومطلق الارادة

سرّي عنكِ يا فابيولا ولا تهيجي ولا تتكبري بل صدقيني بان الامة البسيطة اظهرت اليوم نفسها بقلبها وثبات روحها ووداعتها انها ارفع منزلة منكِ ولئن كنتِ انتِ في ذروة السعادة وهي في حضيض الذل ولست بطالبة دليلاً عَلَى ذلك فان ملامح وجهكِ تؤيد كلامي وتحكم عليكِ باعترافكِ بخطاكِ الشديد . وغاية رجائي ان تقبلي

نصحي ولا تعودي الى مثل هذا .. وان تحبي هذه الفتاة اللطيفة وتعامليها بالحسنى

— وهذا ايضاً تريدينه مني ياغنس ؟ ان احب امتي؟ وهل ذلك مستطاع ؟ ام انتِ طفل بعد؟ اما انا فوهبتها في مقابل ذلك كثيراً من الحلى والثياب والنقود

— ذلك لايخدع النفس العظيمة ولا يغر الارادة القوية ولا يزيغ القلوب الصالحة . الافكار التي تزعمينها لاتستولي الا عَلَى العقول الضعيفة كعقلك فتفسدها وتشوشها . وستنجلي لكِ هذه الحقيقة فتندمين عَلَى هذه المعاملة القاسية وتغيرين هذا المبدأ الجائر

* * *

في هذه القصة اشارة لطيفة الى اكثر المعاملات الشنيعة التي تُرى كل يوم في اكثر طبقات الناس في العالم اجمع . نعم ان تجارة الرقيق بطلت اليوم غير انها شائعة شيوعاً غريباً عند الكثيرين ممن اعمى الاِستبداد بصائرهم فخلوا من الآداب النفسانية والتطخوا بالمعايب وارتطموا في النقائص وصاروا يزعمون ان ذويهم وخدامهم اشياء او سلع لهم عليها حق التصرف ومطلق الارادة وليس همهم الا حمل هوءلاء المستخدمين المحتاجين عَلَى تقديس اسمائهم والسجود لخيلائهم ......

فتش عن المرأة

هذه الجملة جرت عَلَى الالسنة مجرى المثل · ويُقال ان اول من قالها نابوليون بونابرت وينسبها آخرون الى ريشيليو وزير لويس الثالث عشر ملك فرنسا · وسواء كان قائلها الاول او الثاني فقوله هذا صادر عن الحقد والعداوة الشديدة · ولا غرابة في الامر اذا كان قائلها الكردينال مع ما عرف به من العداوة للمكته · ولكن من الغرائب ان تصدر عن نابوليون ورسائله الى جوزفين اشهر من ان تذكر وكلها يدلُّ على حب صحيح وهوىً مكين ومن احبَّ فرداً من افراد جنس لا يمكنه ان يتصوَّر ذلك التصوّر في ذلك الجنس · لان هذه الكلمة تفيد انه لا يمكن ان يحدث شرٌّ في العالم ولا تكون المرأَة سببه · فان لم تكن اليد العاملة له كانت الرأس المدبر ذلك الشرّ · ولكننا اذا عرضنا هذه القضية على محكمة العقل الخالي من الاغراض الذاتية المجرَّد عن البغض الكامن في القلب المؤثر على العقل لا يمكننا ان نسلم بان الشرور بانواعها والجرائم باشكالها وسائر الموبقات بهيئاتها مصدرها ذلك الهيكل اللطيف الذي خلقه الباري تعالى ليكون ملطفاً للاخلاق باعثاً الى القلوب روح المحبة والالفة والسلام · يقال في المثل المعروف « سيماؤهم تعرف في

وجوههم » فهل اذا نظرنا الى تلك الاوجه البديعة الملائكية نرى في سيمائها هيئة الشرّ والخبث والاستعداد الى اقتراف الجنايات وارتكاب الكبائر ؟ لا لعمري · فلا نرى الاّ هيئة الوداعة واللطف · نعم ان هذا الكلام لا يعمّ الجميع ولا أحد يقدر ان يبرّئ الجنس اللطيف كله من هذه التهمة اذ ان من النساء من تفوق اعظم المجرمين في اقتراف الكبائر والمحرّمات وتعلم ابالسة الجحيم طرق الشرّ ولكن ذلك في حكم النادر ونحن انما نبحث عن الجنس وليس عن بعض افراده · وعَلَى افتراض ان الشرّ اصله من المرأة فلماذا تُرى ايها الرجل الطاهر البريء من سائر العيوب مشاركاً اياها في تلك النقائص ؟ افلا تحكم بذلك انك في درجة متناهية في الحماقة والبله والجنون لانك تتمم بذلك اوامرها وتنفذ مآربها · اليس من الظلم ان تكون انت الفاعل و يأتي من يبرّئك وهو متعامٍ عن الحق لانه ينسب فعلك الى تلك البريئة ؟ ماذا دعاك ايها الحاكم العادل ان تفتش عن المرأة وانت ترى الرجل قائماً بالعمل متلبساً بالجناية لنفرض ان المرأة شريرة حقيقةً فهل هذ الشر الكامن في قلبها او الظاهر بافعالها قد خلق معها لما اخذت من اضلاع الرجل ؟ هل كانت جراثيم الفساد كلها كامنة في ذلك الضلع الذي كُوّنت منه وكان الله عالماً بذلك ومع هذا خلص الرجل من تلك الجراثيم وصنع المرأة منها فاذا كان الامر كذلك فهي ليست

بملومة ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً اما الحقيقة التي لاشبهة فيها فهي ان ميكروب الشر سارٍ في جسم الانسانية برمته — في الرجل والمرأة جميعاً لانهما من طينة واحدة ولهما جسد واحد ونفس واحدة . وما نجده من التباين بينهما ناتج من اختلاف التربية . ولو تربيا تربية واحدة لما بقي بينهما ما يميز الواحد عن الاخر الاّ مميزات الجنس التي يحتاج اليها الرجل وليس للمرأة احتياج اليها و بالعكس . فلذلك يجب علَى كل عاقل قبلما يضطر الى التفتيش عن المرأة الشريرة التي يزعم انها سببت كذا و كذا ان يفتش عنها قبلما تنمو فيها جراثيم الشر فيقتل تلك الجراثيم بالتهذيب والتربية خصوصاً بتعليمها الدين الحق الذي يبقيها ضمن تلك الدائرة التي خلقها الله لتشغلها في الاعمال الخيرية . ولقد مرّت قرون واجيال والمرأة الشرقية مطروحة في زوايا الاهمال ليس لها من يفتش عنها مع انهم فتشوا عن اشياء كثيرة لم تنفعهم شيئاً . ولو انتبهوا اليها وفتشوا عنها تفتيشهم عن حجر الفلاسفة واكسير الحياة لرأوا انها هي ذلك الحجر الذي يحوّل ابناء الوطن الى رجال حقيقيين يجعلونه جنة الارضين ولعلموا انها هي ذلك الاكسير الوحيد الذي يزيد مدة الحياة بايجاد الادوية الناجعة التي تقتل ميكروبات الهموم وتخنق جراثيم المصائب . وربُ سائل يقول : ومن هم الذين يعنيهم امر التفتيش عن المراة ؟ — هذا ما اريد ان أوجه

انظار قارئي مقالتي هذه اليه لاننا اصبحنا في عصر نحن احوج فيه الى المرأة من اسلافنا فاقول:

اول من يعنيهم هذا الامر الوالدون. كلمة (والدون) تعم الاوربي والاميركي والاسيوي والافريقي . واذا اردنا ان ننظر الى كلٍّ منهم ينبغي لنا ان نبحث عن كل مملكة من ممالك هذه القارات بمفردها . لان كل قارة بل كل مملكة وامة من الامم لها نظر خاص في شؤون المرأة وهذا يقتضي كتاباً برمته . وانا اريد ان انظر فقط في امر المرأة الشرقية وخصوصاً المرأة العثمانية التي يترتب علينا النظر في حالتها لاننا اصبحنا في غاية الاحتياج اليها واذ قد رأينا هذا الاحتياج وسلمنا بهذا الواجب وجب عَلى كل والد ووالدة عثمانيين ان ينظرا الى بناتهما منذ الان غير نظرهما اليهن في السابق .. أُهملت المرأة الشرقية اهمالاً تاماً ولا يستطيع الباحث الا ان يلقي مسؤولية اهمالها عَلى والديها اللذين اهملاها منذ الصغر حتى ادَّى الحال الى ان زعم جمهور من الشرقيين ان كثرة البنات نوع من العقوبات الالهية عَلى رؤوس والديهنَّ . ولذلك حالما تولد البنت يغضب الاب وتحزن الام وتبكي العمات والخالات وتتعوذ القابلة .. واذا كثرت بنات امرأةٍ فانها تصبح مضغة في الافواه يعيرها اهلها وذووها لانها « امُّ بنات » ومن ثم تكون تلك المولودة الشقية غرضاً للبغض

امها لا ترضعها الاَّ اسكاتاً لصوتها الذي يتطلب الشفقة والحنو والرافة بها والمساواة مع اخيها الذي وُلد قبلها بسنتين او ثلاث ولا يزال يهتضم حقوقها ويمتص غذاءها ويتدلل في حضن امه او على صدرها بينما تكون هي ملقاة الى جانب لا ينتبه اليها احد. هذا فضلاً عن الادعية المتتابعة عليها على اشكال والوان مختلفة من الاب والام والاخوة والعمات والخالات والجارات حتى صار عندهم من الاقوال الشائعة «ان الادعية على البنات من الحسنات» ولو اقتصرت المسألة على هذا الامر ووقفت عند هذا الحد لهان الامر. تقدم لتراها وهي تتقلب على فراش المرض. هل ترى والديها يهتمان بمعالجتها كما لو مرض اخوها؟ كلاَّ بل كانهما يقولان

وكل من لاخير منه يرتجى ان عاش او مات على حد سوا

ومتى اصبحت في سن التعليم ماذا يعلمانها ؟— الكنس والغسل والطبخ والعجن مع ما يتبعها من اشغال البيت. ومن الادبيات ما ورثاه عن جديها من اقاصيص الجن والمردة مع امور لا يجوز لها ان تسمعها مما تتشدق به زائرات والدتها. ومن الدينيات رسم اشارة الصليب على وجهها وصيام الاربعا والجمعة ان كانت مسيحية وصيام رمضان ان كانت مسلمة. وبعد ذلك يصير همُّ والدتها ان ترى لها عريساً وهي لا تصدق متى تصرف تلك السلعة عنها. هذا هو مختصر تاريخ نشأة المرأة الشرقية. فهل تلام اذا هي

جنحت الى فعل الشر ؟ — لا لوم عليها · لان ما لحقها من الجور والعسف مع التربية الفاسدة والميل الفطري كل ذلك مما يفتح امامها ابواب الشر · ولكن المرأة الشرقية مع كل ما حاق بها لم تزل اشرف النسآء · فكم بالحري لو تعلّمت وتهذبت وحصلت عَلَى العناية الكافية · لاشك انها تصبح انبل نسآء العالمين (١) ·· فيا ايها الوالد و يا ايتها الوالدة الغافلان ان الله لم يميز بين الابن والابنة في خلقه فلهما جسد واحد ونفس واحدة والرجل محتاج الى المرأة كما انها محتاجة اليه فلماذا انتما تميزان بينهما ؟ اليست الابنة من لحمكما ودمكما مثل اخيها ؟ ·· المرأة هي نصف البشر و بهذا النصف عمار الارض وسعادة اهلها ورفاهم كما به تعسهم وشقاوءهم فان سعدت يسعدون وان شقيت يشقون · فاذا اردتم الراحة والرفاه والسعادة ففتشوا عن النسآء من صغرهن فهنّ عندكم امانة من الله والوطن فاحرصوا عَلَى تلك الامانة · فتش ايها الاب عن تلك الجوهرة الثمينة التي اعطاكها الله واجلُ عنها الصدأ فيظهر لمعانها · ان الابنة في البيت هي زهرة عَلَى شجرة العائلة ، فلا تدع تلك الزنبقة البيضآء

---

(١) ان ما ذكرته من احوال الابنة الشرقية لا ينطبق عَلَى كثيرات من السيدات الشرقيات اللواتي حصلن عَلَى العناية الكافية عند والديهنّ و بذلك يعاملنَ كريماتهنّ ولكنهنّ الجزء الاصغر فهنّ في حكم النادر وكلامي لا يوجَّه اليهنّ

النقية تذبل ،بل اسقها من مياه المعارف وغذّها بلبان العلوم فتستنشق شذاها في بيتك و يبارك الله بسببها ٠ وانتِ ايتها الام التي تريد حجب تلك الزهرة داخل قفص العادات والتقاليد مع انك ترغبين ان تبقى جميلة ناضرة فلا تمنعيها عن العمل والالعاب والرياضة والظهور في الحقول والجبال بحجة الخوف عليها من حرارة الشمس ان تذهب بنضارتها ومن نسيم الجبال ان يجرح خديها ٠ كلاّ فهي زهرة لا تبدو بجمالها الفتان الاّ اذا لوَّنتها ملكة النهار ولعب باعطافها النسيم ٠ اما اذا ضربت عليها آية الحجاب فتلك الوردة الناضرة الحمراء لاتلبث ان تذبل وتصفرّ ولاترجع الى لونها الاول بل تنقل ذلك الضعف الى نسلها ٠ فتضرّين بها من حيث ترجين لها النفع ففتشي عنها قبل فوات الوقت

ويتبع الوالدين في امر العناية بالبنت المعلمات ليس فقط من اتخذن حرفة التعليم مهنة بل ومعهن سائر السيدات المهذبات وكذا الغنيات القائمات بكثير من الاعمال الخيرية المختلفة مع ان الاولى بهنّ بل الاولى بسيدات العالم المتمدن اجمع ان يوءلّفن موءتمراً يقرّرن فيه مساعدة اخواتهنّ اينما كنّ قبلما يقمنَ بشيء آخر ٠ فانّ من الوالدين من اذا سمع النصيحة سخر بها وغضب علَى قائلها ومنهم من يريد القيام بتهذيب ذاته ولكنه لا يعرف ومنهم يريد و يعرف ولكنه لا يقدر ٠ وعلَى ذلك تبقى المراة الشرقية

جاهلة وهذا اكبر سبب يدفع الرجل الى احتقارها وسلب حقوقها.
تطلب نساء اوربا واميركا حقوق الانتخابات العامة وتطلب بعض
سيداتنا رفع الضغط عن اخواتهن وجعلهن في المقام الذي لهنَّ في
الهيئة الاجتماعية ومن تأمل في حالة المرأة الشرقية يرى ولا شك
ان الرجل يجلّ قدر المرأة المهذبة اجلالاً عظيماً قد لا تحصل عليه
في الغرب . ولكن هل يجوز له اعتبار من لا تعرف الاعتبار ؟
لاننا اذا ساوينا بين المهذبة والجاهلة بمعاملتنا فنكون قد احتقرنا
الاثنتين ومن يمحو لنا بعد ذلك هذا الذنب العظيم ؟ فاذا كنتنَّ
ايتها السيدات تردنَ ان يكون اعتبارنا لكنَّ عمومياً فامددنَ ايديكنَّ
المقتدرة وانتشلنَ من وهدة الانحطاط اخواتكنَّ الجاهلات
المحتاجات الى خلقة جديدة ليكنَّ نساء حقيقيات وبذلك تخدمن
الوطن اجلَّ خدمة اذ تقدمنَ له امهات الجيل المقبل اللواتي يهذبنَ
اولادهنَّ ويعلمنهنَّ ما يعود عليه بكل فلاح

ويتلو المعلمات في التفتيش عن المرأة الرجل . ورب
معترض يقول وما شأن الرجل في هذا الامر ولماذا توجّب عليه
التفتيش عنها ؟— اما سبب تفتيشه عنها فلأنها شريكة حياته
ولانه ناقص بدونها كما انها ليست بكاملة وحدها فهي جزء منه
يجب عليه ان يفتش عنه كما يجب عليها ان تفتش عنه
فالحياة بدونها بلا نتيجة وبلا معنى وهي مملوءة من الاكدار

والمصائب بعيدة عن السعادة واذا وُجد على الارض شيء من السعادة فهو منها وبها تقدر ان تهبه للرجل كما تقدر ان تسلبه اياه حينما تشاء ... ورد في اقاصيص الاقدمين قصة خلاف وقع بين الاله اوسيروس وزوجته ايسس اذ ادّعى باقتداره على تتميم اعماله بدونها وخالفته بذلك فغضب وارسلها الى قصرها بعيداً عنه وفي اثناء ذلك خلق العالم وخلق الانسان الاول سيداً للخلائق . بيد ان هذا المخلوق لم يلبث ان ملّ الحياة . فخلق له عدة اشياء لتسليته طرب لها وسعد بها وقتاً قصيراً ثم ملها وعاد الى الوحشة وكراهة الحياة وكاد يهلك غماً ولم يقدر اوسيروس على اسعاده ولكن ايسس بادرت وخلقت المرأة التي ازالت رؤيتها بجانبه وحشته فزايله الكدر وبدت عليه امائر السعادة ... فهذه القصة وان كانت خرافية غير انها تدلّ على ان الاقدمين عرفوا ان الرجل لا يكون سعيداً الا بالمرأة .
وبالحقيقة لو قُضي على آدم بالطرد من الفردوس وكان لم يزل وحده لقضى نحبه عند بابه يأساً وقنوطاً ولكن وجودها معه انساه تلك الحقيقة الهائلة فخرج لا يلوي على شيء ولا يأسف على ما فقد لانه حسب حواء كل شيء — هي جنته وبها نعيمه ... ففتش اذاً يا ابن آدم عمن اكتفى وسعد بها والدك . ولكن عليك ان تعلم من هي المرأة التي يجب ان تفتش عنها . لا ريب ان كل رجل يرغب في السعادة بواسطة المرأة عليه ان يفتش عنها بذاته ولا يكل ذلك

الى امه او اخته او ذوي قرباه. عرفتُ كثيرين من الذين فتش لهم ذووهم عن زوجات رفيقات لحياتهن فكنّ رفيقات سوء وبدلاً من النعيم الذي كانوا ينتظرونه رأوا ان بيوتهم اصبحت لهم جحيماً فرجعوا عَلَى انفسهم بالملامة لانهم تزوّجوا ظانين ان جميع المتزوجين نظيرهم قد اوقعوا انفسهم في ذلك الجحيم ولو تاملوا لرأوا انهم اخطأُوا ليس بالزواج بل بانتقاء الازواج ولعلموا ان ليس من حق على زوجاتهن بل عليهم لانهم لم يختبروهنّ قبل الزواج وعَلَى آلهنّ الذين ازوجوهنّ بمن لم يخلقنَ لهنّ اما خطأ الشبان في انتقاء الزوجات فاكثر من ان يُحصى. فمن ذلك ان جمهوراً منهم لا ينظرون الاَّ الى خدّ اسيل وطرْف كحيل غير ناظرين الى دين او ادب او علم غير عالمين ان الجمال الحقيقي انما هو جمال النفس المتحلية بالمعارف المتزينة بزينة الآداب المتجملة بمحبة الله والقريب. ومنهم من لا ينظر الاَّ الى البائنة (الدوطة) التي لتلك المزمع ان يبيعها حياته بيع السلع. ولقد تفشى هذا الداء لسوء الحظ في بلادنا تفشياً يصعب علينا استئصاله ما لم تمدّ الينا سيداتنا يد المعونة بترك اشياء كثيرة تدفع الشبان الى ذلك الطلب المهين او الاقلاع عن الزواج بتاتاً. وقبل ان أنتقل الى امر آخر لا بُدّ لي ان اقول لشباننا الادباء بان المال والجمال ليسا سوى اعراض ففتشوا عن الجوهر الذي هو المرأة نفسها

والفئة الاخيرة التي يعنيها امر التفتيش عن المرأة هم الكتبة ارباب الاقلام لانهم قادة الامم علماً وادباً فعليهم ان يبحثوا عن كل وسيلة تقود الامة في طريق الفلاح . نعم عليكم ايها الكتبة ان تفتشوا عن المرأة الشرقية التى لم تزل ضائعة، لم تزل اسيرة ، لم تزل عبدة ، لما تزل جاهلة المركز الذي خلقها الله لكي تشغله وانتم عنها غافلون تفتشون عن المرأة وتجتهدون بذلك اجتهاداً عجيباً لتجدوها غير اننا لما نقرأ اسم التي وجدتموها نجد انها غريبة عنا لا معرفة لنا بها فليست بليلى ولا هند بل اسمها يثقل لفظه عَلَى ألسنتنا ولما نقرأ صفاتها التي صورتموها في مجلاتكم او رواياتكم نجد انها ليست بالمرأة الجديرة ان يُفتش عنها بل لا تستحق ان يُدوَّن اسمها في كتابات باقية ولا يليق ان يبقى اسمها في سجل الاسماء لانها لم تعد امرأة ولم يبقَ لها من صفات المرأة شيء . . قرأت كثيراً من رواياتكم التي تمثلون المرأة فيها كابالسة الجحيم وتنشرون هذه الروايات بين جمهور الشبان والفتيات ليتفكهوا بها فيظن الاغرار من هذا الجمهور ان هذه هي صفات المرأة الحقيقية وهذه هي الصفات التي يجب عَلَى الفتاة ان تتحلى بها لتكون امرأة حقيقية محبوبة . فقد اخرجتم المرأة الشريفة والقيتم بها في مهاوي الشنار . فالامة لا تحتاج الى مثل هذه الكتابات وخير لكم ان تكسروا اقلامكم من ان تضرّوا او تضلوا بها شبان

الشرق وفتياته الساذجات · الروايات والكتابات الفكاهية مفيدة بشرط ان تكون خالية من تلك السموم التي تلفح النفوس فتميتها· الروايات مفيدة اذا كانت الفضيلة متجلية فيها وليس بين سطورها ما يندى له جبين الفتاة الطاهرة خجلاً · فانشروا ايها الكتبة والروائيون كتاباتكم ورواياتكم بقصد الافادة لا بقصد الربح المادّي فقط لان للقلم في هذا العصر تأثيراً عظيماً في النفوس والقلوب · انتم تريدون بكتاباتكم خدمة الوطن وترقية الآداب ونشر المعرفة والعلم ورفع راية السلام في سائر ارجائه فتحرّوا الفائدة وابحثوا عن الادواء لتعالجوها ·واذا رايتم هذه المطالب جارية في بلاد ما فاعلموا ان ذلك هو نتيجة افكار لطيفة صدرت من قلوب رقيقة وأُلقيت من افواه لطيفة الى اذان لطيفة فنتجت عنها تلك النتائج العظيمة الباهرة التي لم تقوَ على ايجادها خطب الخطباء وحكم الحكماء وتغزلات الشعراء · نعم هذه هي نتائج الاخلاق الطيبة التي تخلقت بها طائفة من الامهات الفاضلات زمن الحمل والرضاع والافكار الرائقة التي القت بها على تلك المسامع الصغيرة قصص الحكماء والادباء والانبياء ·· ففتشوا عن تلك المرأة الفاضلة التي قيل عنها بفم الحكماء ان ثمنها يفوق اللآلىء التي يثق بها زوجها ولا يحتاج الغنائم التي تصنع خيراً لا شراً كل ايام حياتها التي تفتح لسانها بالحكمة التي يطوبها اولادها و يمدحها زوجها المرأة المتقية

الرب التي تمدحها اعمالها في الابواب   امين زعرب

رسول النجاة

وهي قصة واقعية جرت في اواسط القرن الثالث عشر وهو العصر الذي سماه المؤرخون «العصر المظلم» حينما ساد الاستبداد والاعتساف ونشبت الحروب والمنازعات بين الكبرآء والامرآء وكلٌّ ينازع الاخر السلطة حتى اذا فاز الواحد بخصمه اورده موارد الهلكة واستولى على املاكه ودمَّر قصره وجعله اثراً بعد عين

في مثل هذه الايام — ايام الخوف وعدم الامان — كان اميرٌ شريف المحتد اسمه فيليب ساكناً مع اسرته وذويه في قصر فخيم ورثه عن آبائه كما ورث عنهم الشهامة والمروءة والبسالة وسائر السجايا الفريدة التي اشتهر بها وكانت موضوع اعجاب الناس على اختلاف الطبقات · وكانت له زوجة زيّنها المولى من مواهب الطبيعة ومحاسن الادب والجمال يقال لها اوتيلا وله منها ابنة وحيدة صغيرة بارعة الجمال اسمها ماري كان كل همّ الوالدين منصرفاً الى حسن تربيتها وتهذيبها وتنشئتها على الفضائل ومحامد الخلال والتديّن

وفي ذات يوم كانت الاميرة وابنتها الصغيرة تتنزهان عند

العصر في حديقة القصر وقد جلستا على مقعد في ظل بعض الاشجار الغضة وبينا هما كذلك سمعتا حركة بالقرب منهما فالتفتت الابنة فرأت حمامة تحاول الفرار من باشق كبير يتأثرها من شجرة الى اخرى وهو يكاد يظفر بها ولما لم ترَ الحمامة مفراً منه عمدت الى حيث كانت الاميرة وابنتها جالستين واختبأت تحت المقعد فتبعها الباشق غير ان وجود الناس هناك حال دون قصده فارتد علَى الاعقاب .. وكانت ماري حالما شعرت بالحمامة ان مدت يدها فاخذتها وهي تكاد تطير فرحاً بها . فنظرت الحمامة اليها نظرة المستجير وهي ترتجف خوفاً . فقالت الام هذه الحمامة غنيمة باردة ففي المساء اذبحها لك . فقالت ماري — كلا يا اماه انها لا تُذبح وانا لم انقذها من مخالب الطير الجارح لتجد عندي مدية" حادة ؟ لا . لا تُذبح . انظري يا أُميمتي الى ريشها الجميل وهيئتها اللطيفة . انظري كيف انها تحدّق ببصرها اليَّ كانها تطلب الامان علَى حياتها .. كلاَّ ايتها الحمامة المحبوبة انك لا تجدين عندي الا كل راحة ورغد . فقالت الام — أصبت يا عزيزتي وانا ما قلتُ لك ذلك الاَّ لامتحن عواطفك ورقة قلبك فكل البوساء لا يجدون عندنا الاَّ الملجأ الامين

ومن تلك الساعة اخذت ماري الحمامة الى القصر وجعلت

تعتني بها اعتناء خاصاً. وكانت الاميرة تلقي دروساً كثيرة على ابنتها في اتخاذ الحمامة مثالاً في النظافة والنقاوة والوداعة وفي يـوم عيد ماري اهداها ابوها قفصاً بديع الصنعة لتجعل الحمامة فيه فسرت ماري به سروراً عظيماً

*

وفي احدى الليالي كان الامير جالساً بعد العشاء مع زوجته وابنته وهو يسرد عليهما اخبار معاركه الاخيرة وكيف انه اقتفى آثار الاشقياء وقطع دابر اللصوص وقطاع الطرق. وفيما هم كذلك اذا بباب القصر يقرع قرعاً عنيفاً. ولم يكن الاَّ القليل حتى فُتح الباب ودخلت امرأة مرتدية لباساً اسود ومعها بنت صغيرة في سن العاشرة وبعد الاستئذان دخلت الزائرة عَلَى الامير وهي تستغيث به وتقول: رحماك يامولاي. اني امرأة ارملة بائسة وليس لي معـين الا الله وانت لان زوجي الامير هوهنبرج الذي توفي منذ ثلاثة اشهر قد اوصاني وهو على فراش الموت ان التجئ اليك في كل اموري ومصائبي. فانا زوجته روز الينداو هذه ابنتي الوحيدة إيما. اما مصيبتي يا مولاي فهي ان اعداء اسرتنا قد خلا لهم الجو الان بعد وفاة زوجي فقاموا يناصبونني حرباً عواناً وبادروا الى الاستيلاء عَلَى املاكنا. فأتيت اليك اسالك الاغاثة والمعونة. قالت الاميرة روزاليندا هذا وهي تذرف الدموع السخينة. ولما فرغت من الكلام

تقدمت ابنتها فعانقت الامير وقالت — انقذنا ايها السيد اكراماً لابنتك ماري

وكان الامير فيليب يسمع هذا الكلام باصغاء عظيم وقد اثر فيه هذا الحديث تاثيراً شديداً حتى لم يملك دموعه · فجعل يطيب خاطر الاميرة ويعدها باكبر المساعدات ثم اقسم لها بشرف اسرته فالكنبرج انه سيردّ اليها ما اغتصبه منها اعداؤها وسينتقم منهم احسن انتقام · واخذت ايضاً الاميرة اوتيلا تسرّي عنها احزانها وتخفف جزعها وما زالت بها حتى اطمأنّ بالها وباتت مع ابنتها في ذلك القصر وهي واثقة بشرف الامير ومروءته · وفي الصباح التالي نهض الامير فجمع رجاله وجنوده وجهَّزهم بالاسلحة الكاملة وسار بهم جهة قلعة هوهنبرج وظلَّت الاميرة روزاليندا وابنتها في قصره وهما في اتمّ سرور وهناء · ولا تسل عن سرور ماري بإيما فلم تكن احداهما تفارق الاخرى بل كانتا تقضيان الاوقات في اللعب واللهو وقد سُرتا علَى الخصوص بالحمامة

وبعد مضي اسبوعين عاد الامير فيليب الى قصره منتصراً ظافراً وقد انقذ قلعة هوهنبرج والاملاك المختصة بها وطرد المغتصبين بعد ان نكل بهم تنكيلاً شديداً · ولما قابل الاميرة روزاليندا في قصره هنأها وكرّر وعده لها بدوام المساعدة والاغاثة في كل وقت تدعوه · فشكرته الاميرة علَى هذه المروءة والبسالة

وباتت اخر ليلة في قصره وهي قريرة العين وفي الصباح ودّعت الامير وآله شاكرةً حسن احتفائهم بها وأوعزت الى ابنتها ايما ان تهدي صديقتها ماري قرطيها كتذكار المودة . فلم ترَ ماري مندوحة الاَّ ان تهدي هي ايضاً صديقتها شيئاً تسر به فاستشارت امها فقالت لها ان تهديها اعز شيءٍ لديها وهي الحمامة . فقدمتها ماري عن طيبة خاطر

*

وقف رجلان بلباس الرهبان عند الغروب امام قلعة هوهنبرج واستأذنا في المبيت . فاستقبلتهما الاميرة رز اليندا بما فطرت عليه من اللطف و كرم الذات وامرت فقدم لهما افخر الماكولات واشهى المشروبات و بعد العشاء جلست مع ذويها في ردهة الاستقبال واستدعت الزائرين للمسامرة وسألتهما ان يقصا عليها اخبارهما . فعلمت من حديثهما انهما من بلاد ما وراء جبال الالب على حدود فرنسا وانهما عائدان من زيارة الاماكن المقدسة في فلسطين و يودان زيارة الامير فيليب لانهما يحملان اليه هدايا فاخرة من وكيل القبر المقدس غير انهما لجهلهما الطريق المؤدية الى قصره دخلا قصرها ليبيتا ليلتهما و يسألاها ان تصحبهما بدليل . فلما سمعت الاميرة اسم الامير فيليب تذكرت صنيعه الجميل معها واخذت تطنب في اطراء محامده ومآثره الجليلة والسائحان يصغيان و يتعجبان

وفي ثاني الايام شيّعت الاميرة زائريها بالاكرام اللائق

وارسلت معهما دليلاً من خدمها اسمه ايوندو ليوصلهما الى حدود اراضي فالكنبرج و يدلهما عَلَى الطريق التي تفضي الى القصر . فسار الخادم وهو يفكههما باخبار الامير فيليب و بسالته النادرة . غير انه ما ابعد بهما عن القصر الا قليلاً حتى سمعهما قد تركا فجاءة لغة البلاد وجعلا يتخاطبان بلغة غريبة وهي اللغة الايطالية . وكان الخادم لحسن الحظ يفهم هذه اللغة لانها لغته الاصلية فاصغى اليهما وهو يتظاهر بانه لا يفهم شيئاً . و بعد قليل علم من سياق حديثهما انهما من كبار اللصوص وانهما يكرهان الامير فيليب و يسعيان الى الانتقام منه وقد تكتّما بلباس الرهابين ليتسنى لهما دخول قصره . ومما عرفه ايضاً انهما زعيما عصابتين من اللصوص وان بقية رفاقهما سيكونون بعد نصف الليل خارج القصر في انتظار علامة منهما متفق عليها وهي انهما يوقدان ثلاث شمعات و يضعانها في النافذة الشمالية من برج القلعة

ولما وعى الخادم هذه الاحاديث وقع في قلبه خوف شديد واسقط في يده لانه من جهة اصبح الان اسيرهما ومن جهة اخرى لا يتمكن من ايصال الخبر الى الامير . غير انه تجلّد و بقي متظاهراً بانه لا يفهم شيئاً من حديثهما . و بقي اللصان يتحدثان حتى اذا وصلا الى منحدر وعر زلت من احدهما القدم فسقط الى الارض فبان من تحت لباسه سلاحه فلم يبقَ عند الخادم اقل ريب بكونهما

لصين . ثم وصلا الى نهرٍ ولا بد لهما من اجتيازه غير ان الجسر الذي عليه كان متهدماً لكثرة هطول الامطار غير انهما وجدا ساق شجرة ملقاة عَلَى طرفي الجسر فعزما ان يجتازا عليها . فقال احد اللصين لرفيقه — اني اقطع الجسر اولاً ثم يتبعني الخادم وعند وصوله الى وسط العبارة ازيح ساق الشجرة فيهوي الى الماء ونأمن شره . فقال الثاني مالنا وله فلندعه يرجع الى سيدته . قال — غير اني اخشى ان يكون قد لمح سلاحي من تحت الثياب . قال — وهبه لمحه فمن اين له ان يبلغ الامير الخبر مع طول المسافة .. واخيراً اتفقا ان يتركا الفتى وشأنه . ثم تقدم اللص الاول فاجتاز الى الجهة الثانية وامر الخادم ان يتبعه . فطارت نفس الخادم شعاعاً واخذ يستعطفهما ويسألهما ان يأذنا له بالرجوعِ لانهما قد وصلا الآن الى حدود مقاطعة الامير فيليب ولم يبق لهما ان يجتازا الى قصره الا مسافة قليلة وانه اذا سار معهما لا يأمن خطر السقوط في النهر . فلما سمع الراهبان كلامه تركاه وشأنه وسارا في سبيلهما وهما واثقان بانه لم يفقه شيئاً مما يضمران . ولما فصل ليوندو عنهما سار في طريقه وهو ينهب الارض نهباً وما زال يسابق الرياح حتى بلغ القصر وقد جهده التعب واسرع تواً فافضي الى سيدته بما سمعه من كلام اللصين . فلما سمعت الاميرة كلامه كاد يغشى عليها من شدة الجزع والهلع فاستدعت رجالها وذويها واطلعتهم عَلَى الامر واخذت تستحثهم

للمبادرة الى اغاثة الامير فيليب. وقد وعدت بجوائز سنية لمن يستطيع ان يصل الى قلعة فالكنبرج قبل حدوث ما نواه اللصان. فقالوا — ان ذلك مستحيل لان المسافة الى القلعة طويلة جداً وقد قرب المساء فليس لاحد ان يصل الى هناك قبل الصباح.

فارتعشت الاميرة ورفعت بصرها الى السماء وهي تسأل الله عنايته بالامير ثم التفتت الى ليوندو وقالت — اني اعهد فيك الخفة والنشاط والامانة فارجوك ان تسير حالاً الى قلعة فالكنبرج وتحذر الامير من هذه التهلكة. فقال — لا سبيل لاحد يامولاتي ان يسير ليلاً في هذه القفار و يعبر ما فيها من الانهار وليس عليها الجسور والعبَّارات الاَّ وله اجنحة النسور.

فاطرقت الاميرة براسها الى الارض وقد بدت في وجهها امائر اليأس الشديد وكانت ابنتها ايما واقفة مع الجمع تصغي وتتلهف فلما سمعت كلام ليوندو افتكرت قليلاً ثم صاحت بفرح — انا ادلك يا اماه على من يوصل الخبر الى الامير. فابتهجت الوالدة وقالت — ومن ؟ قالت — ألستم تطلبون اجنحة توصل الخبر الى الامير ؟ فعندي الحمامة وهي اذا افلتت من عندنا لا تلبث ان تعود الى صديقتها إيما بسرعة البرق. فسرت الاميرة سروراً عظيماً واعتبرت كلام ابنتها الهاماً سماوياً فبادرت اليها فضمتها الى صدرها وعانقتها طويلاً واسرعت حالاً فكتبت رسالة الى الامير فيليب ضمنتها شرح ما ارادت

وعادت فناطت الرسالة بعنق الحمامة وصوبت راسها نحو قلعة فالكنبرج واطلقتها · وكأَن الحمامة فهمت المهمة التي انتدبت اليها فاندفعت كالسهم المنطلق جهة القلعة ولبثت الاميرة روزاليندا كل تلك الليلة في هاجس و بلبال ولم تغمض عيناها

*

كان الامير فيليب في مساء ذلك النهار جالساً مع قرينته وابنته الى مائدة الطعام فجاء احد الحجاب وقال بالباب يا مولاي راهبان سائحان يودان مقابلتك وابلاغك رسالة من الارض المقدسة فابتهج الامير وامر الحاجب بادخالهما الى ردهة الاستقبال واكرام وفادتهما وقد فرحت ايضاً ايما بهذين الزائرين وهي ترجو ان تسمع منهما اخباراً غريبة ونوادر عجيبة · وفيما هم على العشاء سمعت ماري قرعاً على زجاج احدى النوافذ فقامت وفتحت النافذة ويا للعجب فانها رأَت حمامتها المحبوبة قد دخلت من النافذة ووقفت على كتفها كانها تسلم عليها فابتهجت ايما بها وعادت الى والديها وهي تقبلها باشتياق وحنين زائدين وتقول — انظري يا اماه ما اجمل هذه الربطة القرمزية التي في عنقها وقد نيط بها ورقة فلعلها من صديقتي ماري

فلما سمع الامير كلام ابنته انتبه وقام من مكانه فاخذ الرسالة من عنق الحمامة وحالما وقع نظره عليها ارتعش بدنه وتقطب وجهه وبقي حيناً صامتاً متأَملاً · ثم بادر فتدجج بسلاحهِ واستدعى اليه

جميع من كانوا في القلعة من الجنود والخدم وامرهم ان يكونوا على استعداد تام وقد افضى اليهم بجلية الخبر ثم دعا الراهبين واستنبأهما عن حالهما فقال احدهما انا يا سيدي غريبان من بلاد نرمنديا ولما كنا في اورشليم امرنا احد روءساء الدير هناك ان نزورك ونبلغك تحياته ونقدم اليك هديةً مقدسة · فقاطعه الامير بقوله — بل خسئتما يا انذل خلق الله لانكما لصان شريران وليس عقابكما الا الموت الزوءام ثم امر بهما فكبلا بالحديد واخذا الى سجن القلعة · ولما انتصف الليل اوقد الامير ثلاث شمعات ووضعها في النافذة الشمالية من برج القلعة لتكون علامة لسائر اللصوص · ثم ان رئيس الجنود ارتدى بثوب رهباني وذهب فوقف عند باب القلعة حتى اذا جاء اللصوص فتح لهم الباب فدخلوا وهم لا يحسبون لاحد حساباً ولكنهم ما لبثوا ان احاط بهم رجال الامير من كل جانب فقتلوا بعضاً والقوا القبض عَلَى الباقين واُخذوا جميعهم الى حيث ينالون مرَّ العقاب

وفي ثاني الايام ذهب الامير فيليب ومعه ذووه الى قلعة هوهنبرج حيث احتفلوا احتفالاً عظيماً بهذه النجاة الغريبة ولم ينس الامير الفتى ليوندو فشكره وقدم له هدية سنية وعاد بعد ايام الى قصره وهو يشكر الله عَلَى عنايته وتدبيره

. . .

وبقيت الحمامة هذه المرة عند ماري وقد وضعتها في قفص

من ذهب غالي الثمن اهداه لها ابوها وكانت تعتني بها اعتناءها باعز شيء لديها

(عن الالمانية) جبران مطر

كذب المرأة

مما ذكرته احدى الصحف ان المرأة اكثر كذباً من الرجل واشد اخلافاً للمواعيد . حتى لقد زعم كثيرون ان الكذب مخلوق معها وهو تابع لجنسها فهي كما انها تمتاز بالولادة والرضاعة مثلاً تمتاز بالكذب ايضاً . ولكن احد الباحثين مع اعترافه بان المرأة اكثر كذباً من الرجل يقول ان الكذب ليس من اخلاقها الغريزية وان ذلك ليس بمتعلق شيئاً في كونها انثى وانما هو حادث من العادة التي تمادت عليها دهور ودهور . وذلك لان الرجل منذ ما نشأ او بدأ يتمدن اخذ يحتقر المرأة احتقاراً شديداً ويجعلها دونه بدرجات في كل شيء ولذلك صارت تعتمد على الكذب اعتماداً قصد التخلص من عقابه واذلاله او تخفيف الحدة عنه ساعة غضبه . ثم تمادى بها ذلك حتى صار من جملة اخلاقها بحيث انه حيث تنعكس الحال او تعتدل كما هي في الوقت الحاضر ثم يمر الزمن الطويل فان الرجل يصبح اكثر منها كذباً اذ لا تعود لها حاجة بالكذب . ولعل هذا هو الصحيح . لان الكذب ليس من الخلال اللاصقة بالانثى حتى لا انفكاك لها وانما هو سلاح كل ضعيف كما يبدو ذلك من الرجل

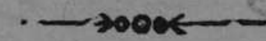
نفسه فانه مع قوته وعدم اضطراره للكذب يكذب جداً لاقلّ ضعف يصيبه ومكروه يتوقعه كما يبدو من ذنوبه البسيطة لدى الحكومة فانه يكذب و يقسم الايمان المغلظة للتخلص من غرامة بسيطة ولو كان غنياً

اما كذب المرأة من حيث اخلافها للمواعيد ونحو ذاك من تهم الشعراء فهو لا بد ان يبقى على حاله لانه داخل ضمن حدود الدلال الانثوي وهو واجب لها كل الوجوب والا ذهبت محاسنها وابتذل جمالها كما انه واجب لمرضاة الرجل ايضاً لان ذاك الاخلاف مما يسره . والى هذا يشير البحتري بقوله :

يحلّ غرور الوعد منها عزيمتي　　　واحلى مواعيد النساء غرورها

و يشير ابن الفارض الى شيء من هذا في قوله:

عديني بوصل وامطلي بنجازه　　　فعندي اذا صحّ الهوى حسن المطل



كرام اوروبا

ضلّ من ظنّ ان اوروبا مهبط الحكمة في هذه الايام وموطن العلم والعرفان قد خلت من كرامها واقوت ربوعها من افاضلها ولم يبقَ فيها الا جائر في حكمه قاسط والا كل عاند عن مهيع العدل زائغ . ان فيها هؤلاء وفيها المقسطون المنصفون الأُولى حالفوا الحق وآخوا الصدق فاعلنوهما على رؤوس الاشهاد في كل ناد واهابوا

بالناس اليهما وحملوهم طوعاً او كرهاً عليهما ولم يخشوا من العاذل اذا عذل او القادح اذا قدح . كما انهم لم يحتفلوا بالمثني اذا اثنى ولا المادح اذا مدح . اذ قصارى مآربهم وجلُّ بغيتهم ان يقولوا عن الحق حقاً وعن الباطل باطلاً . ومن تلا وصية شيخ الفلاسفة (سبنسر) لليابان وما حذَّرهم فيها من شر قومه الاوروباويين الذين ما دخلوا بلدة الا افسدوها وجعلوا اعزَّة اهلها اذلة وكذلك يفعلون – لارتاح الى قولنا الذي قلناه ولشدَّ يديه على دليلنا الذي اقمناه ولعلم ان العلم الصحيح والتهذيب البليغ يبلغان من تقويم العقول واصلاح النفوس ايما مبلغ واذا كانا لا يرتقيان الى ذلك فما فضل العلم الكريم على الجهل الذميم ؟

نعم نعم ان العلم نال وسينال ما نؤمله ونرتجيه وسيثبت الزمان ما قال شاعره صديقنا في الغيب الشيخ معروف الرصافي :

ان الهواتف لا تزال بمسمعي ... مني تقول اذا شكوت الحالا
لا تيأسن فللزمان تنفس ... فارقبه ان يتبدل الابدالا
والدهر طاهٍ سوف ينضج اهله ... بالحادثات يزيدها اشعالا
ان الدهور وهنَّ امهر سابكٍ ... ستردُّ اضداد الورى اشكالا
حتى كأني بالطباع تبدلت ... غير الطباع وزلزلت زلزالا

وستبيد الحروب وتفنى اهوالها وتأتي السلم ورجالها وسنغدو اخواناً متساندين واصدقاء متآخين . وانا نتوسل الى العلم والدهر

ان يسوقا ذلك الزمن سوقاً فقد كادت النفوس تقضي قبل ان تراه وجداً وعشقاً

وبعد فقد حدانا الى القول الذي قلناه والذكر الذي تلوناه عبارة من مقال طويل الكاتب فرنساوي اسمه فرنسيس شارم نشره في مجلة العالمين — وهي مجلة لا يكتب فيها الا كرام الكاتبين — جذبت هوانا واقتادت اليها قلبنا والفؤاد قد خطتها يد العدل على قرطاس الحق . ولقد احببنا ايها القارئ ان نلخصها لك لتثني معنا على كاتبها واليكها:

« لوظلت تركيا على حالها القديمة وظل عبد الحميد سلطانها وبقي الاستبداد ضارباً اطنابه في البلاد ثم وردت على عالم السياسة المشكلة الكريتية لما حارت اوروبا في حلها ولأتت ما تبغيه قسراً وجبراً دون ان يلومها لائم او يلحوها لاح . اما الان وقد ولى عبد الحميد وولت لياليه السود فلا يجوز لأوروبا ان تفادي رجال اليوم بما كانت تفادي به رجال الأمس . بل يجب عليها ان تنصح لليونان ان يزجروا غراب جهلهم ويعصوا داعي امانيهم وتمد بصنيع تركيا او تلقي حبلها على غاربها وتدعها وشانها لتصلح ما افسده الزمان بل ما افسدته ايدي الانسان لا ان تذر الملح على ذلك الجرح بل الجرحين — جرح استقلال البلغار وجرح الحاق البوسنه واختها بمملكة النمسا والمجر — ذانك الجرحان او السهمان اللذان ادميا

فؤادها وكلما قلبها فصبرت ولا والله ما لها طاقة على الصبر لكن صبرت على الرغم

وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكنني للنائبات حمولُ

ولقد يشق ويعز على تركيا الجديدة ان يهتك حجاب شرفها وتسبى امامها بلادها التي لم تأخذها بغير حرب حتى يهون عليها تسليمها

ومن اخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البلادِ

وهيهات ان يعذلها فيما تأتيه عاذل او يعيبها عائب فلنساند تركيا ولنشد ازرها فذلك اجمل بمروءتنا واقوم سبيلاً »

ذلك تلخيص تلك العبارة التي اشرت اليها وأحببت تعريبها . فحيّ ايها القارئ كاتبها وحيّ يراعه وكن من الشاكرين

القدس اسعاف

حكم وامثال تلمودية

✲ عقيبا ✲ — . وقع على بني اسرائيل اضطهاد عنيف فيه منعوا من درس الشريعة المقدسة . فكان الربي عقيبا يجمع الجماهير سراً ويرشدهم . فقال له بابوس بن يهوذا — الست خائفاً ياعقيبا ؟ ربما يظهر عملك فتعاقب . فاجابه — اسمع فاقص عليك مثلاً : كان

ثعلب يمشي على ضفة نهر فرأى السمك ينز ذهاباً واياباً فقال له ما بالك تفر؟ ومما تخاف؟ اجابه أفرُّ من شباك الصياد. فقال الثعلب تعال واسكن معي على اليابسة. فضحك السمك وقال أأنت هو احكم الحيوانات؟ حقاً انك لجاهل عظيم. اذا كنا في خطر ونحن في الماء فكم يكون الخطر اعظم اذا تركناه؟ هكذا الحال معنا: التوراة هي حياتنا حينما نكون في سلام فكم يكون احتياجنا اليها اشدّ في اوقات كهذه؟

وسأل فيلسوف الربي عقيبا قائلاً — اذا كان الهكم يحب الفقراء فلماذا لا يعولهم؟ اجابه ان الله سمح بوجودهم بيننا دائماً لتكون لنا فرصة دائمة اعمال الخير. فقال له من اين تعلمون ان هذه فضيلة ترضي الله؟ فاذا قاصَّ سيدٌ عبده بعدم القوت والكسوة فهل يُسرُّ اذا قاتهم وكساهم غيره؟ فاجاب الربي افرض فرضاً آخر: اذا اقتضى عدل اب حنون ان يقاصّ ابنه بطرده فهل يغتاظ ممن يؤويه ويعوله؟ الرب دعانا اولاده ونحن ندعوه ابانا

✡

﴿اليشع بن ابيا﴾ — ان اليشع بن ابيا كان اعلم العلماء وقد جحد في اخر حياته. وكان الربي ماير احد تلامذته ولم تفتر محبته له. وفي ذات يوم بينا كان ماير يخطب في المدرسة دخل بعض تلاميذه

وقالوا له — ان معلمك اليشع راكب حصانه في هذا السبت المقدس فللحال ترك المدرسة وتبعه ومشى بجانب حصانه فحياه اليشع وسأله عن الفصل الذي كان يشرحه من الكتاب فقال — هو من سفر ايوب حيث يقول «وبارك الرب آخرة ايوب اكثر من اولاه» (ايوب ٤٢ : ١٢) فقال اليشع — كيف تفسر هذه الاية ؟ اجاب — ان الرب زاد على كل ما كان له ضعفاً · فقال اليشع — لم يقل عقيبا هكذا بل قال ان الرب بارك آخرة ايوب بمضاعف التوبة والاعمال الصالحة · فقال الربي ماير — وكيف تفسر اذاً هذه الاية «نهاية امرٍ خيرٌ من بدايته» (جا ٧ : ٨) او بعبارة اخرى اذا تاجر انسان في صباه وخسر أفي شيخوخته يسترجع غناه؟ او اذا درس انسان شريعة الله في حداثته ونسيها أفي شيخوخته ترجع اليه ذاكرته؟ فاجاب اليشع — لم يقل هكذا عقيبا بل فسر الاية بقوله ان حسن النهاية يتوقف على حسن البداية · وحياتي تؤيد صدق هذا التفسير · ففي اليوم الذي فيهِ ادخلت الى عهد ابرهيم اولم والدي وليمة عظيمة فكان بعض المدعوّين يغني وبعضهم يرقص اما الربيون فكانوا يتباحثون بحكمة الله وشريعته · فسرّ والدي بهم وقال لهم متى كبر ابني علموه ليصير مثالكم · فهو لم يعلمني لاجل مجد الله بل لاجل مجد نفسه ليجعل له بواسطتي اسماً عظيماً ولذلك جحدت في شيخوختي ... ثم استتلى قائلاً

اما الان فعد الى حيث كنت لانه لا يسمح لك ان تسير اكثر من هذه المسافة وقد حسبتها بخطوات حصاني · فدهش الربي ماير وقال له — اذا كنتَ قادراً ان تحسب مسافة السبت بخطوات حصانك وتدقق هكذا الاجلي فلماذا لا ترجع الى الله وتتوب من كفرك ؟ اجاب ذلك ليس في يدي

ما الذي جعل عالماً مثل اليشع ينصرف الى طرق الشر والجحود ؟ قيل انه بينما كان يدرس الشريعة رأى في إحدى الايام رجلاً يتسلق شجرة حيث وجد عشاً فاخذ الام والفراخ ونزل سالماً ثم رأى رجلاً آخر وجد عشاً وتبع الوصية اي انه اخذ الفراخ وترك الام ومع ذلك فقد لدغته حية ومات · فقال اين صدق وعيد التوراة ووعدها ؟ (تث ٢٢ : ٧) · اين طول الايام لمن اتبع الوصية ؟ فالذي تعدَّاها لم يُضرَّ · غير انه لم يسمع تفسير عقيبا « ان طول الايام هو في العالم الاتي حيث تكون كل سعادة » · وقيل عن جحوده سبب اخر وهو ان الامم قطعوا لسان الربي يهوذا العالم الشهير والعامل الامين الذي صرف حياته في درس الشريعة والعمل بها واطعموه للكلب فقال اليشع اذا كان هذا نصيب لسان لم ينطق بسوى الحق وهكذا يعامل عالم عامل فما الفرق بين الصادق والكاذب والعالم والجاهل ؟ فأرى ان لا ثواب للابرار ولا عقاب للاشرار

وعاد الربي ماير معلمه وهو على فراش الموت وتضرع اليه ان يرجع الى الله . فصاح اليشع قائلاً — وهل يقبل توبتي وانا عاصٍ متمرّد فاجابه الربي ماير — اليس مكتوباً « ترجع الانسان الى الغبار » (مز ٩٠ : ٣) فلو صارت نفس الانسان غباراً فالقدير يرجع ويعزيه . فبكى اليشع لدى سماعه ذلك بكاءً مراً ومات .

وبعد موته بمدة وجيزة افتقرت بناته وجلنَ على المعاهد العلمية يتسوَّلنَ ويقلنَ — اذكروا فضل علوم ابينا لا تصرّفه . فكان يُحسن اليهن .

✡

سأل فيلسوفٌ احد الربيين قائلاً : اذا كان الله يكره الاصنام فلماذا لا يبيدها ويزيل التجربة فاجابه — اتريد ان تُباد الشمس والقمر لان كثيرين يعبدونهما ؟

✡

قال وثني للربي غملئيل : ان الله لص لانه القى سباتاً على آدم واخذ ضلعاً من اضلاعه . وكانت ابنة الربي حاضرة فالتمست من ابيها ان يسمح لها بالجواب على هذا السؤال وقالت — دخل غرفتي لص وسرق اناء فضة ولكنه ترك بدلاً منه اناء ذهب فقال الوثني — حبذا لص كهذا كل ليلة . فقالت — اخذ الله من آدم ضلعاً واعطاه امرأة .

✡

﴿ امثال ﴾ خربت اورشليم بسبب اهمال تعليم الاولاد · بتنفس تلامذة المدارس يخلص العالم · لا تقفل المدارس حتى ولو كان الباعث على ذلك الاحتياج الى ترميم الهيكل · طوبى لابن يتلقى العلم عن ابيه وطوبى لاب يعلم ابنه · اشترِ متى كنت وحدك الشاري ومتى جاء غيرك انصرف · لا يشعر الجاهل بالاهانة كما لا يشعر الميت بالضرب · متى كان كرّاز الغنم اعمى ضل القطيع · الحكيم هو الذي يقبل التهذيب من كل مصدر · الجبار هو مالك نفسه · الغني هو القنوع · مَن يكرم غيره يُكرم · لكل انسان زمان ولكل شيء مكان ·

الحديد يقطع الحديد · النار تصهر الحديد · الماء يطفي النار الغيم يبدد الماء · النوء يبدد الغيم · الانسان يغلب النوء · الخوف يغلب الانسان · الخمر تطرد الخوف · النوم يطرد الخمر · الموت سيّد النوم · اما المحبة فكما قال سليمان تنجي من الموت

النمّام والقاتل سيّان · تُب قبل موتك بيوم (اي اعتبر كل يوم هو آخر ايام حياتك فتُب كل يوم) · لا تُبكِ امرأتك فان الله يحصي دموع النساء · ساعد المرأة قبل الرجل · لا احد يشعر بموت المرأة كزوجها · من يحب امرأته كنفسه ويكرمها اكثر من نفسه يحسن تربية اولاده · قال الربي يوسي « لا اقول امرأتي بل بيتي لان بدونها لا بيت لي » · لا تصاحب من يلبس ثوب قديس

ليغطي عيب جاهل · لاتعرض نفسك للتجربة فداود لم يستطع مقاومتها · خير معلم الوقت وخير كتاب العالم وخير صديق الله · الخطيئة جنون كما هي شر · امر الله بالعمل ستة ايام كما امر بالراحة في يوم السبت · امر الله ادم ان يعمل الجنة و يحرسها ثم سمح له ان يأكل من ثمر تعبه · حياة العزب كلها تعب · من تزوج حباً بالمال يكون اولاده لعنة له

القس اسعد منصور

خطبة رئيس مجلس المبعوثان

(في ختام العام الاول)

في الحادي والعشرين من شهر آب اجتمع مجلس المبعوثان اجتماعاً ختامياً لعامه الاول وقرأ الرئيس خطبة الوداع وهذه تعريبها:

ايها الزملاء المحترمون

اليوم يختم مجلس المبعوثان لعامه الاول · وكنت اودّ ان اذكر مجملاً للاعمال التي قمنا بها فيه لو وجدت المجال ذا سعة · كان رجاؤنا في بادىء الامر اننا نستطيع اتمام الاعمال التي ناطت الامة بنا البحث فيها وتقريرها في الاربعة الاشهر التي ضُربت موعداً لاجتماع المجلس ولكن تواكل الحكومة وتوانيها في ارسال البيانات والنظامات التي سنتها الينا أعاقنا فلم نتمّ اعمالنا طبق المرام · ثم اخذت تلك النظامات ترد علَى المجلس تباعاً فجعل ينظر

فيها بعزيمة صادقة ونية صافية واذا شبح الاستبداد مثل امام عيوننا والفساد وراءه يرخي القائمون به ستار الدين عليه · اولئك جعلوا شعارهم (طلب الشريعة) ليتمكنوا به من خداع الجنود حماة الدستور اولئك الذين راموا اهانة الشريعة السمحاء ومحو صولة الامة ودك صروح آمالها · اولئك السفلة الذين اتخذوا الحرية التي نلناها بعد جهاد شديد سلاحاً يقضون به لباناتهم فقابلوا النعمة بالنقمة والاحسان بالكفران · ولكن الجيش العثماني الباسل المملوء حمية وغيرة وطنية · ذلك الجيش الذي يضرب بسيف الامة ليذود عن حوضها ويذبّ عن حريتها طعن بمرهف الحق تلك الفئة الباغية التي لاخلاق لها فانشقّ عمود الفجر واجفل الليل متعثراً بثوب الخيبة والفشل · وعاد المجلس الذي التأم اياماً في سان ستفانو للدفاع عن حقوق الامة الى هذا المكان الذي نحن فيه الان عاقداً العزم عَلى ان يدكّ صرح الاستبداد الى الحضيض فلا يبقي له عيناً ولا اثراً

بدأ المجلس حينئذٍ يعلي كلمة الامة ويرفع قدرها ومكانتها ويوافق على النظامات التي تسعدها وتنفع الحكومة والبلاد · اما الذين يقولون ان المجلس لم يأت عملاً مذكوراً فاني احول انظارهم الى مجمل اعماله ليبصروا خطأهم

فقد عرضت الحكومة عَلى مجلسنا ثلاثة وسبعين نظاماً فصادق

عَلَى ثلاثة وخمسين منها بعد مناقشات عنيفة طال الاخذ والرد فيها ولا تزال النظامات الباقية منها معروضة عَلَى رجال القومسيونات يبحثون فيها ويدققون . ورفع حضرات النواب ٦٦٨ تقريراً قُبل منها ١٥٨ تقريراً أُرسلت الى النظارات لترى رأيها فيها واهملت التقارير الاخرى

ورُفع الى المجلس عشرة الاف اقتراح قبل منها ٤٥٠٠ ورفض ٥٢٠٠ وما بقي منها لا يزال معروضاً عَلَى بساط البحث . واذا عُلم ما تقتضيه هذه الاقتراحات من الوقت للمناقشة فيها والمناقشة في بعضها اكثر من مرة بسبب تعديل مجلس الاعيان له ثبت جلياً ان اعضاء المجلس الكرام لم يقضوا الشهور التي اجتمعوا فيها عبثاً ولا ذهبت اتعابهم سدىً ولا كانوا مشدودي الايدي ، فالحق والواجب يقضيان بشكر المبعوثان ولا سيما رجال القومسيونات لما بذلوه من الهمة وذلّلوهُ من الصعاب

لما فُتح مجلس المبعوثان لم يكن فيه شيء معداً ولكن المساعي التي بذلها زملائي المحترمون وقلم الادارة والمراسلات والمختزلون وقلم الاوراق والجنود المحافظون عَلَى المجلس سهلت كل امر عسير . وقد افردنا غرفاً للقومسيونات من الغرف الخاصة بنظارتي العدلية والاوقاف . ولما كانت هذه الغرف وغرف المجلس لا تكفي للاعمال فكرّنا في ضمّ بنائي نظارتي الاوقاف والعدلية الى بناء

المجلس · ولكن الصدر الاعظم ابلغنا ان نظارة العدلية لا تستطيع اخلاء بنائها الان فطلبنا من جلالة السلطان الاعظم مكاناً فانعم علينا بسراي جراخان ليجتمع فيها مجلس المبعوثان

فهذا الانعام وعناية جلالة السلطان رئيس السلطتين التنفيذية والتشريعية بمجلسنا يثبت لنا ميل جلالته الاكيد الى الدستور والى اعلاء مجد الوطن · فيحق لنا الافتخار بسلطان دستوري لجلالته (تصفيق) · ويجب علينا ان نشكر للحكومة الحاضرة ما بذلته من الهمة لانجاز القوانين · وعرضها عَلَى مجلس النواب · وان نثق بان الحكومة التي قوامها رجال جد وعمل ذوو مقدرة وكفاءة ستدار دفة الاصلاح فيها بكل دقة ومهارة

مواطنيّ الكرام ! عملتُ وايا كم يداً واحدة تسعة اشهر · ولما كان المرء لا يتعلم الواجب عليه في المدرسة بل في ساعات العمل اقول انني كنت غير مجرب للامور · فاذا كنت قد هفوت في امرٍ فهفوتي رمية من غير رامٍ · واعتقادي ان الهفوة التي يرتكبها المرءُ بنية حسنة يجب ان لا تكدر احداً · وقد كان من حسنات مجلسنا اننا تعارفنا وسيكون لهذه التعارف فضل في اتفاقنا ووئامنا في العام المقبل · اننا نفترق اليوم عَلَى امل اللقاء بعد ثلاثة اشهر · فالواجب علينا ان نسعى فيها جهدنا لنشدّ ربط السلام بين ابناء الامة ونشرب افئدتهم حب الدستور : فأدعو

لحضراتكم بالنجاح وأستودعكم الله (تصفيق شديد طويل)

(النفائس) عسى ان تتم آمال الامة بمجلسها النيابي فيعم النجاح سائر طبقات الامة على اختلاف عناصرها ومللها . حقق الله الامال

اكتشاف القطب الشمالي

افادت الانباء البرقية الواردة من جزائر جرينلندا على كوبنهاغن في اوائل ايلول الماضي ان الدكتور كوك الرحالة الاميركاني قد اكتشف القطب الشمالي في ٢١ نيسان وانه رأى هناك حقلاً من الجمد . وقد اقام الدكتور في القطب يومين وركز هناك العلم الاميركاني . وبهذه المناسبة نلخص هنا بعض ما عثرنا عليه في المجلات الاوروبية عن هذا الرجل الذي طبقت شهرته الخافقين

ليست هذه بالرحلة الاولى التي قام بها الدكتور كوك في النواحي القطبية . فانه قبل هذا العهد باثنتي عشرة سنة رافق الرحالة القومندان بيري الاميركاني الشهير في احدى سفراته الى جرينلندا ثم سار مع بعث جرلاش بصفة طبيب الى جهات القطب الجنوبي (سنة ١٨٩٨ — ١٨٩٩) والف في ذلك كتاباً ضافياً ضمنه وصف هذه الرحلة وملأه بالرسوم الطبيعية الجميلة . بعد هذا

سافر الى اعلى قمة في اميركا الشمالية اي جبل ماك كينلي في الاسكا واخيراً وطن النفس ان يسافر الى القطب الشمالي مع بعض من جماعة الاسكيمو . ففي سنة ١٩٠٧ توجه مع الدكتور فرانك على احدى سفن صيد الحيتان الى الشطوط الغربية من جرينلندا ونزل على شاطىء بوغاز سميت في (ايتا) قاصداً ان يتوجه من هناك الى الشمال . وفي صيف سنة ١٩٠٨ جاء الى بوغاز سميت بعث بيري على سفينة اسمها روزفلت ومعها مركب اخر موسوق فحماً اسمه ارك . وفي ايلول عاد هذا المركب بالدكتور فرانك الذي افاد انه قضى الشتاء مع كوك في (انورتوك) شمالي (ايتا) على الشاطىء الشرقي من بوغاز سميت . وفي ٢٦ شباط اجتاز من هناك على الجمد مع جماعة من الاسكيمو الى الشاطىء المقابل من ارض (الزمير) فبلغوا فرضة (الاغار) ومن هنا عاد فرانك الى ايتا وبعد مدة ورد كتاب من كوك يفيده انه وصل الى رأس (أبَّارد) وانه عازم على مواصلة السفر الى الشمال ويظن انه يعود الى ايتا في اواسط حزيران غير ان فرانك انتظره الى اواسط آب واخيراً اضطر ان يغادر جرينلندا ويعود على المركب ارك . ولبثت حالة كوك غامضة حتى ظن الكثيرون انه مات وآخرون قالوا انه ربما يلتقي في الشمال بالقومندان بيري ويعودان معاً . اما كوك فقضى الشتاء في احدى الجزائر الواقعة الى جهة الغرب من جرينلندا . وفي

اوائل الربيع زحف مع بعض رجال من الاسكيمو وسار في البحر المتجمد وهناك لم يبق معه غير اثنين من الاسكيمو و٢٦ كلباً . وفي ٢١ نيسان بلغ القطب حيث اقام يومين وقفل بعد ذلك راجعاً ظافراً بامنيته بعد ما قاسى من المشقات والاهوال ما ستنشره الجرائد تفصيلاً اعتماداً على كلام كوك نفسه

ولم يكد يذيع هذا الخبر حتى قام القومندان بيري له وقعد ونشر احتجاجاً شديداً على كوك مدّعياً انه هو الذي اكتشف القطب لا سواه وان كوك انما استعان بما اعده هو من الوسائل حتى فاز بغايته وانه بعد بضعة اشهر سيبين للعالم اجمع صدق قوله وفساد ادعاء خصمه . وعلماء الفلك واهل البحث ينتظرون الان بيان الخطة التي سار عليها كل من الرحالتين الشهيرين ليثبتوا لاحدهما دون الاخر شرف هذا الاكتشاف العظيم . وكثيرون الان يميلون الى تصديق كلام بيري ويشكون في صحة كلام كوك . والله اعلم

اين الوفاء

يا قلب مالك والغرام بزينب ... فاهجر صروح غرامها وتجنب
يا قلب دع عنك الصبابة والهوى ... واترك فديتك واعتزل وتحجب
يا قلب ان الحب ينهض بالفتى ... وله يكون الحب خير مهذب
الحب يرقى بالعواطف واهباً ... شرفاً وحسن تلطف وتأدب

الحب افضل نعمة ومن السما ... هبطت كنورٍ للفضيلة أشهبِ
لكنما هو آفة للمرء إن ... نبذ الوفا واحتال مثل الثعلبِ
اين الوفاء واهله اين الأُلى ... حفظوا عهود مودةٍ اين الابي
اين الذين تكاتفوا وتحالفوا ... وسعوا بنيل مرامهم والمأربِ
ليسوا بموجودين اذ كل امرىءٍ ... يصبو للذةِ ذاته فتعجبِ
كلٌّ له ارب يسير وراءه ... ويعاف مصلحة القريب الاقربِ
كل له ارب يروم مناله ... وسوى مقاصد نفسه لم يطلبِ
ما اهتم بالعمران قط والارتقا ... ء وبالعموميات يهزأُ كالغبي
فالارض ملأى بالشرور ولم يعد ... احدٌ حقوق قرينه لم يسلبِ
الارض ملأى بالخداع واهلها ... تخذوا الريا بدل الحسام الاهدبِ
نبذوا الوفا وتمسكوا بخيانةٍ ... وتعاشروا بتزلف وتلعبِ
حسد الشقيق شقيقه لفضيلةٍ ... رفعت له علم الهدى المستوجبِ
خان الصديق صديقه من بعدما ... حلفا على حفظ المودة بالنبي
وابيك ما الاخلاص الا لفظةٌ ... وهميةٌ عن كنهها لم تعربِ
لا انكر الاخلاص بين احبةٍ ... كلا ولا ذا الامر بالمستغربِ
لكنه اخلاص وقت حالما ... يبدي الزمان له الشقاء فيختبي

. . . . . .

ان لم يكن اخلاص قلبك يافتى ... يفنى بقبرك مع عظام المنكبِ
لاتحسب العطف الموقت داعياً ... يدعو شعورك سامياً لا تحسبِ

ومصائب الدنيا اذا حلت فمت طوعاً ولا تخن الصديق وتكذبِ
واخدم عموم العالمين مضحياً اغراض نفسك :ان ذلك مذهبي
لاتختش مِن لائمٍ فقدَ الهوى وقضى الحياة بحطةٍ وتحزبِ
فالوغد يحسد كل شيء فاضلٍ ويذم كل مدربٍ متهذبِ
مَن يرتقي يُحسد ومن يعلو يبت هدفاً لسهم مذمة المتلهبِ
متلهب حسداً تذيب فوءاده نار من البغضاء نار تعصبِ
اولئك الحساد عمَّ فجورهم فترقبوا المفضال شر ترقبِ

. . . . .

ربي اذا كان البغاة تحاملوا فانعم عليهم من سمائك واغضب
ربي اطلع من عرشك الاسمى على زمرٍ بدون مبادىءٍ او مشربِ
رباه راقب شرهم واذكر لهم سوء المصير بيوم حشر مرهبِ

. . . . .

يا ابن السلام اذا صفعتَ وجوههم فالذنب ذنبهم ولست بمذنبِ
يبغي الكريم تصافياً وتآخياً والشرب من كاس الصفاء الأعذب
لكن اذا وقف اللئيم تطاولاً متحرشاً بك يا مهذب فاضربِ
ان اللئيم اخا الشقا لا يرعوي عن غيه بملامة وتعتب
بل يرعوي لما يُصاب بضربة تقضي علَى خبث بنيته ربي
فاحصره ضمن حدوده ليس انتقا ماً منك بل فاضر به ضرب موءدب

ان كان حبك ياسعاد يذيقني
كاس الهوان فلستُ بالمتحبب

العزُّ مطلبي وحفظ كرامتي
جل المنى والمجد غاية مأربي

حمص
امين فتح الله
صباغ

﴿ برانيط الخيل ﴾

من كان قاسياً على البهيمه
فليس مشفقاً على ابن الطينه

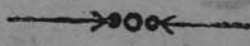
الفرس هي رفيق الانسان وخادمه الامين · غير ان السواد الاعظم من الناس قلَّما يشفقون على دوابهم كأنهم يظنون ان الدابة لا تشعر بألم ولا تمرض ولا تجوع ولا تعطش ولا تحتاج الى راحة وعناية وغير ذلك · ومن نظر الى خيول العربات والكارات وما تتحمله من ظلم سائقيها وجورهم وغلاظة اكبادهم علم ان هذه المعاملة مما لا تجيزه الشفقة ولا هو من الصفات الانسانية · لان الدابة اذا حملتها فوق طاقتها فهي لا تقدر طبعاً ان تقوم بهذه الاعباء الثقيلة ولو ضربتها وعذبتها · وما الفرق بين هذه الخيول التعسة التي تكابد كل يوم من الشقاء والعناء ما يقصر آجالها وبين الخيول الاخرى التي يهتم بها اصحابها من جهة العلف والراحة وحسن المعاملة والتدبير ؟

ولقد أنشئ في اكثر الممالك المتمدنة جمعيات خاصة للعناية

بالحيوانات . ومن جملة نتائج اهتمامهم بها قبعات (برانيط) خصوصية للخيل لتقيها في ايام القيظ من شدّة الحرّ وضربة الشمس

واول ما ظهرت هذه البرانيط في فرنسا ثم انتشر استعمالها في البلاد الاخرى

اما نحن فلا نحتاج الآن ان نستعمل لدوابنا برانيط خصوصية بل يلزمنا ان نتعلم اولاً كيف يجب ان نعاملها بالشفقة والحنان . .



منثورات

﴿ عبد الملك ابن مروان ﴾

كان عبد الملك ابن مروان وهو الخامس من خلفآء بني اميّة جالساً يوماً في ديوانه فدخل عليه رجل وقال اني مظلوم يا امير المؤمنين . فقال عبد الملك مَن ظلمك ؟ قال له انت ولستُ اصل اليك . قال ومَن يحجبك عني وترى مجلسي مبدراً ؟ قال يحجبني عنك هيبتك وفصاحة لسانك . فقال الخليفة وما ظلمك ؟ قال الرجل اعلم يا امير المؤمنين ان لي ضيعة اخذها وكيلك مني غصباً . فقال الخليفة ان هذا الامر يقتضي بيّنةً وشهوداً واشياء كثيرة . فقال الرجل انما البينة هي الشهود واما الاشيآء الكثيرة فربما هي الجور والظلم وعدولك عن الحق . فضحك عبد الملك من جوابه وامر له بردّ ما أُخذ منه

﴿ هيكل غريب ﴾

في كيونو مدينة اليابانيين المقدسة هيكل عظيم مكرّس لثلاثة وثلاثين الفاً وثلاثمئة وثلاثة وثلاثين الهاً · وفيه تماثيل جميع هذه الالهة مرتبة بصورة مدهشة · فالتماثيل الكبيرة ممسكة كل واحد منها بيديه تمثالين اصغر وكل واحد منها ممسك بيديه ايضاً تمثالين اصغر الى ما لا نهاية له وجميع هذه التماثيل لآلهة مختلفة الاجناس والاشكال و بينها عدد غير قليل من الحيوانات البريــة والبيتية · فمن جملة ذلك نحو مئة ذئب ومئتين الى ثلاثمائة حية وعدد كبير من الحشرات والهوام كالنُّفَّة وهي الدويبة المعروفة بعناق الارض · فقد اقام لها ابناء مملكة « الشمس المشرقة » عدة تماثيل ومذابح وهم يعتقدون بان لعيني هذه الدويبة تأثيراً هائلاً في كل انسان

﴿ الطواف حول الارض ﴾

(مشياً على الاقدام)

في اليوم الاول من شهر نيسان سنة ١٩٠٨ خرج من باريس المدعو اودن ومعه زوجته ليطوفا حول الارض مشياً عَلَى الاقدام في مدة ار بع سنوات لقاء جائزة سينا لانها اذا اتما ذلك وقدرها مئتان وخمسون الف فرنك · وقد زارا في رحلتهما هذه كثيراً من مدن اوروبا ولما بلغا ايران وكانت الثورة فيها

متأججة جرح اوذن جرحاً اضطره ان يطلب تمديد الاجل شهراً آخر فاجيب طلبه · ومن ايران عاد هذا الرجل وزوجته الى روسيا ومنها ذهبا الى اسوج ومن هناك سيبحران الى كندا ثم يتوجهان الى نيويرك واخيراً يعودان الى باريس · وكل هذه المسافات سيقطعانها مشياً الا اذا اضطرا الى ركوب البحر

اكبر جبل في العالم

هو جبل غواراكاران في بلاد بيرو · ارتفاعه ثمانية آلاف متر وفي السنة المنصرمة صعدت الى قمته احدى اوانس الاميركان المدعوة مس بيك وكان معها عندما باشرت رحلتها رفيقان نمساويان غير ان احدهما جلدت يده في الطريق واضطر رفيقه ان يأخذه الى المستشفى ويقوم بمعالجته اما الآنسة بيك فظلت على عزمها الى ان بلغت قمة الجبل دون ان يعبأ جسمها اللطيف بشدة البرد والزمهرير والجليد

اول ساعة برجية

في هذا العام تتم ستمئة سنة منذ ظهور اول ساعة برجية في العالم · وهي محفوظة حتى الآن وسيرها في منتهى الضبط والدقة · وهي موضوعة على كنيسة القديس افستافيوس في ميلان وقد ارتبطت بها حوادث كثيرة ولا سيما فيما يتعلق بشعراء

الايطاليان حتى ان دانتي نفسه قد ذكرها مراراً عديدة في اشعاره

﴿ براعة التمليق ﴾

طلب احد القوّاد الطاعنين في السن الى لويس الرابع عشر ان يبقيه في الخدمة ولا يحيله على التقاعد فاجابه الملك — وكان هو ايضاً قد شاخ — ولكن سنك لا تعينك عَلَى الخدمة فقال القائد انا يامولاي اكبر من جلالتكم بثلاث سنوات وارجو ان اخدمكم لا اقل من عشرين سنة ايضاً · فسرّ الملك من ذكائه واجابه الى ما طلب

﴿ الحرية ﴾

قال رجل لصاحب له — ما ارثّ هذا الرداء الذي انت لابسه الا تريد ان تشتري لك رداءً جديداً ؟ قال — لا لاني اريد ان ابقى حرًّا بعد حصةٍ من الزمان · فقال صاحبه — وما علاقة ردائك بالحرّية ؟ قال — ان زوجتي توعَّدتني بان لا تخرج معي ما لم ابدل هذا الرداء باجدّ منه فلذلك اغتنمت هذه الفرصة لاستنشق نسيم الحرية مدةً

﴿ شجاعة صديق ﴾

يُروى ان الاسكندر لما اضطهد الفيلسوف غالبستين وضعه في قفص من حديد وقاده مع جيشه في غزواته وكان ليزماك احد قواد الاسكندر صديقاً للفيلسوف فعاده في قفصه واخذ

يعزّيه ويلاطفه وكان الوحيد بين رجال الاسكندر الذي اقدم علَى هذا العمل غير مبالٍ بغضب الملك · فنهاه صديقه عن زيارته ونبهه الى ما يجره عليه ذلك من نقمة الاسكندر · فقال له ليزماك اذا رأى الاسكندر افضل الناس معرضين عنك اعتقد انك مجرم وما شعر بتبكيت ضميره

﴿ بدائع شعرية ﴾

قال بعضهم :

ومعشوقٍ يتيه بوجه عاجٍ　　شبيه الصدغ منه بلام زاجِ
اذا استسقيته راحاً سقاني　　رضاباً كالرحيق بلامزاجِ

وقال آخر

وقلتُ لها لا تهجري الصبّ وارجعي　　وعودي لوصلي لا عدمتك ـ عودي
فقالت ستعطى ما تشاء فمل الى　　مجالِ سعودي في مجالس عودي

ولبعضهم يمدح خطيباً:

قد زها المنبرُ عجباً　　مذ ترقّيتَ خطيبا
اترى ضمّ خطيباً　　ام ترى ضمّخ طيبا

ولابي الفتح البستي

الى حتفي سعى قدَمي　　ارى قدمي أراقَ دمي
فما انفكُّ من ندمي　　وهان دمي وها ندمي

﴿ آثار ادبية ﴾

جامعة الفنون — وردتنا من طرابلس الشام اذاعة بامضاء حضرة الفاضل احمد افندي كمال حداد مفادها انه عزم عَلَى اصدار مجلة عثمانية تبحث في سائر الفنون العصرية وخصوصاً العلم والادب والطب والزراعة والتاريخ وانه سيصدرها مرتين في الشهر في ٤٠ صفحة كل مرة وقد جعل قيمة اشتراكها ١٠ فرنكات في طرابلس و١٢ في الخارج · فنحث القراء عَلَى الاقبال عليها وندعو لصاحبها بالتوفيق ولمجلته الغراء بسرعة الظهور ومزيد الانتشار

ترويض الاذهان في تقويم البلدان — أُهديت لنا نسخة من هذا الكتاب المفيد لحضرة موءلفه سليم افندي ابراهيم صادر · وهو يبحث في مبادىء الجغرافية عَلَى طريقة سهلة المأخذ لطيفة الاسلوب · فنثني عَلَى حضرة موءلفه طيب الثناء ونحث ارباب المدارس عَلَى اقتنائه ونتمنى له مزيد الرواج · (وهو يطلب في حيفا من الخواجا سليم حاويلا وثمنه ثلاثة غروش)

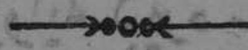
اخوية النبي الياس الارثوذكسية بحيفا — اطلعنا على خلاصة اعمالها عن السنة المنصرمة فوجدنا ان قيمة مدخول الجمعية ١٥٢٧٠ غرشاً و٢٠ بارة ومصروفها في وجوه البر والاحسان ٣٩٦٦ غرشاً و١٥ بارة والباقي في صندوقها ١١٣٠٤ غروش و٥ بارات وقيمة موجوداتها ١١٥٢ غرشاً و٣٠ بارة · فنثني عَلَى همم اعضائها

والقائمين بها ثناءً عاطراً ونحث جميع نصراء الفضيلة على موءازرتها والأخذ بيدها لتظل ناهجة هذا المنهج الوطني الخيري العظيم الفائدة والله لا يضيع اجر المحسنين

جمعية الاتحاد الوطني في دوما (لبنان) — وردنا من حضرة وكيلنا الفاضل في دوما ما يأتي :

انشىء في دوما جمعية باسم الاتحاد الوطني شعارها المحبة والتعاون والترقي وغايتها كاسمها وشعارها وقد توالت جلساتها التي اسفرت عن انطباق تام بين القول والعمل اذ ظهر من اعضائها الكرام كل عاطفة شريفة . اما قانونها فقد طبع منفرداً ليقدم لكل من يطلبه خصوصاً لابناء الوطن الدوماني داود بشير

(النفائس) تثني عاطر الثناء على اعضاء هذه الجمعية الكريمة ونسأل لها ترقياً متواصلاً ليتسنى لها خدمة الاداب العمومية بالاتحاد الوطني الحقيقي



خاتمة السنة الاولى للنفائس

اصدرنا هذه المجلة ونحن لم يخطر في بالنا انها ستنال ما نالته لدى جمهور القرآء من الارتياح والاقبال ولا سيما ونحن اعلم الناس بضعفنا وقلة بضاعتنا . غير ان نصراء الادب وارباب الحمية والفضل ونخص منهم حضرات وكلائنا الافاضل ومكاتبينا الاباة قد اخذوا

بناصرنا ونشطوا مشروعنا ومهدوا امامنا كل عقبة فسرنا في هذا السبيل واجتزنا هذه السنة ونحن نجهر بالثناء الطيب على حضراتهم ونلتمس منهم ومن عموم القرآء ان يسبلوا ذيل المعذرة على جميع الفرطات والهفوات التي بدت في النفائس في عامها الاول ونعدهم باننا سنبذل الوسع لتكون في السنة القادمة اكثر ترتيباً واغزر مادة واطيب فكاهة واحسن وقعاً عَلَى قدر ما تصل اليه يدنا وطاقتنا ولا شك اننا سنلاقي من عموم الاصدقآء والادبآء كل معاضدة ومناصرة فنخطو خطوة اخرى في سبيل النجاح والتقدم وهكذا نسير مع الايام سيراً طبيعياً

غير اننا تذرعاً الى التوسع في المباحث العصريّة قد عزمنا عَلَى اصدار المجلة مرةً واحدةً في الشهر مع زيادة في عدد صفحاتها وتكثير المواضيع الفكاهية التي سيكون لها المجال الاكبر فيها وسنختارها كلها مما يعذب وروده عَلَى الاسماع ولا تثقل موءونته عَلَى الطباع وقد أعددنا للسنة القادمة رواية كبيرة سميناها «اهوال الاستبداد» سنطبعها متتابعة في جميع اجزاء المجلة وهي من خيرة الروايات الادبية التاريخية واعظمها شأناً واشدها تاثيراً فنستلفت اليها الانظار سلفاً. وفي مأمولنا ان جمهور القرآء الكرام سيتلقون مجلتنا بملء القبول والاقبال والله المسوءول ان يسددنا الى ما به مرضاتهم وخدمة الادب ونفع الوطن العزيز بمنه تعالى وكرمه وهو اكرم مسوءول

شقاء الملوك

وكانت اشرعة السفينة كلها بيضاء نقية وقد نُقش على احدها بحروف ذهبية كبيرة اسم الفقيدة . ولما تمت كل هذه المعدّات جيء بجثة لوطيس في تابوت بديع الاتقان مزّين بجميع انواع الورد والازهار ووُضع على ظهر السفينة ثم نُشرت اشرعتها وتُركت وشأنها تمخر عباب البحر معرّضة لفعل الرياح والامواج التي عُهد اليها بهذا الجسم الشريف . وكانت جماهير الناس واقفة على الشاطئ وهي تُعدّ بعشرات الالوف وقد احتشدوا جميعهم الى ذلك المكان ليودعوا لوطيس المحبوبة الوداع الاخير . . وكانت القوارب الصغيرة تحدق بالسفينة من جميع الجهات وقد ذهبت كلها لتشيعها في سفرها الاخير

٭

الى احدى نوافذ القصر الملوكي المطلة على البحر وقفت الملكة تمتع بصرها بهذا المشهد الرائع . وكانت منشرحة الخاطر مسرورة الفؤاد ووجهها يتدفق بشرًا وسعادة . وذلك لانها شعرت ان موت لوطيس راحةً لنفسها وهناءً لقلبها . فقد ماتت الان مزاحمتها وعما قليل تشتدُّ العاصفة فتقلب السفينة ويُدفن ذلك الجسم تحت الماء و يعود اليها حبيبها وزوجها الملك نادماً تائباً فتحبه بكل قواها لان الحب قد استيقظ في قلبها وتحيا واياه حياة السعادة وتنسى حياة

الشقاء والكدر. وظلت الملكة واقفة الى النافذة الى ان رأت القوارب قد شرعت تعود الى الشاطىء تاركةً السفينة تتقاذفها الامواج وتتلاعب بها الرياح كما تشاء . وكان الناس الواقفون عَلَى الشاطىء قد اخذوا ايضاً يتفرّقون كل الى قراره ونفوسهم حزينة وقلوبهم منقبضة ... فنهضت الملكة من مكانها ودخلت الى مخدعها لترتدي اثوابها الجميلة استعداداً لقدوم زوجها وكان قد اقبل المساء . ولما فرغت خرجت الى ردهة الجلوس فدعت وصيفتها تريزا لتسليها قبل ان يعود الملك . وكان موضوع حديثهما حفلة النهار . وظلت الاثنتان جالستين تتحادثان وتتذاكران الى ان قالت تريزا — ومن الغريب يا سيدتي انه لم تبقَ امرأة فقيرة الاّ قدّمت ازهاراً لتزيين السفينة وكان الجميع يبكون و يقولون انهم بفقدهم لوطيس قد فقدوا كل هناء وكل سعادة في هذه الدنيا ... والحق يُقال ان امرأَة كهذه نادرة زمانها ... ويعلم الله اني كنت اودّ من صميم قلبي ان اراها او اتعرف بها فلم يتيسر لي ذاك . ولعلكِ يا حضرة الملكة تتأسفين لانكِ لم تريها ولم تشكريها قبل موتها عَلَى انقاذها جلالة الملك من الخطر الذي تهدَّد حياته

فقطبت الملكة حاجبيها وقالت — ولكنها يا تريزا لم تفعل الاّ الواجب وكل انسان يفتخر اذا أُتيح له ان ينقذ ملكه وولي نعمته . فلم تعمل اذاً هذه المرأة ما يستوجب لها الشكر ...

الفصل السابع والسبعون

﴿ اضطراب الملكة ﴾

كانت الملكة تعدُّ الدقائق لرجوع زوجها وهي تخالها اعواماً حتى اذا صارت الساعة التاسعة ولم يرجع اقلقتها افكارها وشعرت بويل عظيم فارسلت تريزا تستدعي اخاها لتسأله عن الملك. فذهبت الفتاة ولم تلبث ان عادت ومعها اخوها السير روجر وامائر الانقباض والخوف بادية عَلَى وجهه. فحيَّا الملكة ووقف ينتظر امرها. فقالت له — الان الساعة التاسعة ولم يعد الملك فاين تظنه في مثل هذا الوقت؟ قال — لا أعلم شيئاً يا سيدتي بل أعلم انه حزن جداً عَلَى فقد لوطيس ولا أظنه الاعائداً بعد قليل. قالت — ومتى فارقته؟ قال — منذ اربع ساعات وقد أمرني ان أعود الى القصر واسلمكِ كتاباً دفعه الي وأخذ عليَّ عهداً بان اسلمكِ اياه في صباح الغد. فوثبت الملكة قائمة وقد جحظت عيناها وقالت — اين الكتاب يا روجر؟ هاته سريعاً فقد فقدنا الملك. آه يا لشقائي.. فخاف روجر وامتقع لونه وقال — ولكني قد عاهدته مقسماً بشرفي أن لا اسلمكِ الكتاب الاَّ في الصباح. قالت — لا بل تسلمني اياه الان فلعلنا نقدر باطلاعنا عليه ان نعرف اين الملك واي المصائب يتهدَّده. فلا تخف ان تكون حانثاً بقسمك لان للظروف احكاماً وانا اكون المسؤولة عنك فأين الكتاب؟ فأخرج

روجر كتاباً من جيبه ودفعه اليها بيد ترتجف فأخذته بلهفة وفضته واذا فيه :

« ايتها الملكة ! عشتُ واياك دهراً طويلاً ولم تتحرك فيك عواطف الحب نحوي . ولما استيقظ قلبي للحب ماتت الحبيبة . وبموتها فقدت جميع آمالي واماني ولم تعد الحياة في نظري الا عذاباً وشقاء .. وبما اني قد وعدتُ لوطيس ان أحيا بحياتها واموت بموتها فأنا اريد ان اقوم بقسمي وعهدي ولذلك فلا ترين وجهي بعد الان .. وقبل ان أُفارق هذه الحياة الشقية المملوءة غصصاً ومكاره اقيمك وكيلة عني عَلَى عرش المملكة الى ان يعود ولدنا غومفري الى العاصمة فيستلم مقاليد الاحكام . استودعك الله ايتها الملكة واسألك ان تذكري عَلَى الدوام من عاش معك شقياً ومات شقياً

الملك .. »

ما كادت الملكة تتم قراءة هذا الكتاب حتى شعرت كأن روحها قد اختطفت من بين تراقيها وقد تحققت ان في الامر داهية ومصيبة عظيمة فصاحت صيحة عظيمة وسقطت مغشياً عليها . فاسرع روجر واخته تريزا واقبلا عَلَى الملكة يعالجانها بجميع الوسائط الى ان فاقت من غشيتها وعادت فجلست عَلَى كرسيها وقالت لروجر — قد قضي الامر يا روجر ولن يعود الملك الينا فيا لك من خادم غير امين ... كم مرة قلت لك ان ترافقه عَلَى الدوام ولا تفارقه طرفة

عين ؟ . . قال ـ مولاتي . . . فقاطعته بقولها ـ صه فلا اريد ان اسمع منك شيئاً الان بل اطلب منك الملك فاذهب واقتف اثره في الآفاق ولا تعد الى هنا الاّ وهو معك . . . اذهب وابحث لي عن حبيبي وسيدي في الارض او البحر في جهنم او في السماء ، وعُد به الي حياً او ميتاً . . اغرب من امامي ولا تريني وجهك الاَ والملك معك . . . فوجم روجر عن الكلام وظهرت عليه علامات القلق والارتباك الشديد فقالت الملكة ما بالك صامتاً ؟ تكلم . فجثا روجر امامها وقال ـ ثقي يا سيدتي باني سأُتمم امركِ ولا أَعود الى هنا بدون الملك . ثم اخذ يدها فقبلها وخرج من القصر هائماً على وجهه وهو لا يدري الى اين يذهب او ماذا يفعل

وبعد خروجه قالت تريزا للملكة — واذا لم يظفر اخي بالملك فهو اذاً لا يرجع الى هنا ؟ قالت — نعم لاني لا اريد ان ارى وجهه بدون الملك . فبكت تريزا وقالت لله ما اقساكِ ايتها الملكة فكأَنك بلا قلب البتة . قالت — نعم انا بلا قلب وقد كان لي قلب منذ هنيهة وقد افعم بالحب والامل والان فقد انطفأَ نور رجائي وأُغلق قلبي الى الابد فيا لشقائي ويا لضياع املي . . .

الفصل الثامن والسبعون

﴿ اين الملك ﴾

كانت العواصف تشتد والرياح تهب فدفعت السفينة الى

عرض البحر وكان التيار يسوقها و يزيد في ابعادها عن البر حتى توارت عن الابصار ولم يعد احد يراها ولم تلبث ان انحنت صوار يها من شدة الر ياح وأوشكت ان تتمزّق اشرعتها وتتعطّل ادواتها وتغرق في اليمّ

وفي وسط الازهار الذابلة التي كانت حول التابوت وقف رجل حيّ لم تكن الحياة عزيزة لديه · هذا الرجل هو الملك · فقد كان منتصباً امام التابوت موطّناً النفس ان يرافق لوطيس الى عالم الابدية اذ لم يبقَ له رجاء في الحياة · وهكذا ترك العرش وكل ابهة الملك واختلس نفسه الى حيث كانت منطلقة الحبيبة لانه لا يستطيع ان يقضي بقية حياته بلا محبة · وكل شيء في هذه الدنيا باطل بلا محبة ·· فقد قضى معظم حياته قبل ان تعرف بلوطيس بدون هذه العاطفة واخيراً وجدها ولكنه مالبث ان فقدها فشق عليه ذلك وعزم ان يتبع محبوبته الى ظلمة الليل الابدي · وها انه قد ركب السفينة معها بدون ان يشعر به احد وهو معتقد بانه سيلاقي مع لوطيس حياة وليس موتاً · ولذلك فقد شعر حالما وطئ السفينة براحة غير ارضية · وكلما عصفت الرياح واشتدّ النوء كان يجد تعزيةً ولذةً لان ذلك انما يقرب اوان اجتماعه بالحبيبة فكان يتبسم للبحر الهائج والامواج الثائرة و ينتظر بفارغ الصبر ان تقوى عَلَى السفينة فتحطمها او تقلبها · ثم عاد فالتفت الى التابوت وخاطب

لوطيس قائلاً — ارقدي الان ايتها الحبيبة براحة وطمأنينة . انكِ قد عرفت الناس وعرفت لاجل اي شيء يجب عليهم ان يحيوا . . عرفت ان الحياة ان لم تكن للمحبة فباطلة . ولذلك فقد كنت كلك محبة وقد ضحيتِ نفسكِ كلها للناس . ولما رايتِ ان محبتي اياك تحط من كرامتي في عيون رعيتي ضحيتِ حياتك لاجلي كانك لا تعلمين اني بكِ فقط احيا واني بدونك مائت لا محالة . فانتِ فقط سبب سعادتي وعنوان افتخاري وان حبكِ قد خالط كل قطرة من دمي وكل نسمة من انفاسي . وها اني يا حبيبتي قد جئتُ لاموت او لاحيا معك وسنلتقي قريباً على شاطىء الابدية . .

ثم انتقل بفكره الى اسرته ورعيته فقال مخاطباً نفسه : ترى هل تبكي الملكة عليَّ اذا علمت بموتي ? وكيف تكون حالة اولادي ? اما غومفري فانا لا اخشى عليه لان لديه سلاحاً قوياً طالما حاولتُ ان أجرّده منه فلم افلح وهذا السلاح هو الحب . . فلتباركك نفسي يا غومفري ولتبارك حبيبتك غلوريا . . واما رعيتي فستحزن لفقدي . غير انها ستتعزّى بولدي لان المحبة ستجعله ملكاً عادلاً رأوفاً . وتلك الاصلاحات التي نويت ان اجريها انا سيقوم هو بها بما يخلد ذكره الى الابد . . اني الان مائت فستبتلعني اللجة ولا يعرف احد كيف قضيتُ نحبي الّا سرج لاني انفذت اليه رسالة قبل مجيئي الى هنا اوضحتُ له فيها عزمي . . لا شك انه

لا يعلم السبب الذي ادّى بلوطيس الى الانتحار ولو علم لمقتني واحتقرني لانه كان يحبها ايضاً اما هي فلم تحب احداً سواي ٠٠٠

الفصل التاسع والسبعون

﴿ ضحايا الحب والغيرة ﴾

وبينما كان الملك واقفاً امام التابوت وذهنه منشغل بمثل تلك التأملات ابصر شبحاً خارجاً من قعر السفينة وآتياً نحوه ٠ فذعر وارتعش لانه لم يكن يتوقع ان يرى احداً في هذه السفينة المعدة للهلاك ٠ ولما اقترب الشبح تبينه واذا به سرج طورد فدهش وفتح فاه يريد الكلام ولكن الحيرة اخذت منه مأخذاً عظيماً فوقف وهو لا يدري ماذا يقول ٠ واما سرج فلما رأى الملك نظر اليه بعين الغضب وقال بخشونة — عجباً ايها الملك ! كان الاجدر بك ان تكون في قصرك اذ ليس ما يوجب مجيئك الى هذا المحل وليس لك حق ان تموت مع لوطيس التي احببتها انا ٠ قال — لا أُنكر عليك محبتك لها ولكني احبها اكثر منك ٠ قال — انت كاذب فيما تقول اذ ليس لاحد ان يحب لوطيس اكثر مني ٠ ولذلك فلما رأيتها قد احبتك واعترفت لي بذلك لم ارَ لها واقياً من هذا العار الا الموت ٠ فانا الذي حفظت حياتها منذ الحداثة فصارت حياتها برمتها لي ولا احد يقدر ان ينازعني اياها ٠ واذ رأيتك قد اعتديت على

حقوقي فأحببتها وأَحبتك بادرتُ وقتلتها لكي انقذها منك . فلما سمع الملك هذا الكلام ارتجف شديداً وقال — يا لك من قاتل و كاذب فقد قتلتها وقلت انها انتحرت ! قال — ان لوطيس هي التي اوصتني ان اقول ذلك لك وقد ارادت بذلك ان تخلصني فذهنها اذاً كان منشغلاً في الدقائق الاخيرة من حياتها بي وليس بك . والان فقد جئت انا لاموت معها وارافقها الى السمآء او الى جهنم ولست اسمح لغيري بمرافقتها الى مقرها الاخير فلماذا انت هنا ولماذا لم تتركها لي وحدي وعندك العرش والمملكة واما انا فقد كانت لوطيس كل حياتي . . . قال — وانا ايضاً قد جئت لاموت معها . لا . ليس لاموت بل لاحيا لانها كانت تحبني فليس من العدل ان اتركها وحدها . فارتعد سرج وقد لعبت في راسه نيران الغيرة و بلغت منه سورة الغضب فدنا من الملك وامسكه بذراعه وابعده بعنف عن التابوت مسافة بضع خطوات ثم اخرج من جيبه مسدساً وقال — سأنتقم منك اذاً قبل ان تبتلعك اللجة وسأموت بعدك الى جانب لوطيس . ولما قال هذا اطلق عليه المسدس . فسقط الملك الى الارض ولكنه لم يمت لان رصاصة المسدس لم تصب منه مقتلاً واسرع سرج فوقف بازآء التابوت وأَلهب برصاص المسدس دماغه فسقط صريعاً الى جانب لوطيس . . .

ولما تمالك الملك روعه نهض فاقترب الى سرج وجرَّه الى

جانب السفينة وقذف به الى البحر ثم تنفس الصعداء وقال — لم يبق في السفينة الا انا ولوطيس وعما قليل ستحطم الرياح السفينة فتسقط في اليمّ ونلتقي معاً في عالم الابدية · ولما قال هذا اخذ حبلاً وربط نفسه بالتابوت واقام ينتظر المنية

وكانت العواصف والرياح قد اشتدت كثيراً فمزقت الاشرعة وحطمت الصواري وملأت السفينة ماء واغرقتها في لحظة · فصاح الملك قبل ان ابتلعته الامواج : « الى الملتقي يا لوطيس ! » · ·

***

وبعد يومين من تاريخ هذه الحوادث وصل البرنس غومفري مع زوجته غلوريا ولما علما بما جرى بكيا طويلاً · واستلم بعد ذلك غومفري زمام الاحكام فكان آية العدل والانصاف حتى لم يكن في الرعية من لم يحترمه ويدعُ له بطول البقاء · وكانت غلوريا سلوته الوحيدة ورجاء الامة كلها ·

ولم تنسَ غلوريا اباها رونسار فاستدعته من الجزائر وعاشوا جميعاً باتمّ صفاء الى ان ادركهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وسبحان الحي الذي لا يموت

(تمّت)

